تأملات في

سورة الفاتحة

إعداد

د. عبد الله بن علي بصفر



الطبعة الثانية

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

دار نور المكتبات

السعودية - جدة - حي السلامة - بجوار جامع الشعيبي
هاتف وفاكس: ٦٨٣٨٠٥١ - ص ب: ٤٠٣٧٤ - الرمز البريد: ٢١٤٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ وبعد :

فإنَّ كثرة التأمل في سورة الفاتحة مهم للمسلم ، ذلك أنه يقرؤها كل يوم سبع عشرة مرة ، فهي أكثر السور تكراراً وتردداً ، وما كان اختيارها إلا لحكمة عظيمة بالغة من رب العالمين تبارك وتعالى .

وهي أفضل سور القرآن الكريم ، فكان لا بد أن يكثر طلاب العلم مـــن الكتابة فيها ، ومع ذلك ما وفوها حقها ، وستظل هذه السورة بحراً زاخراً يغرف منه الأئمة والخطباء وطلاب العلم .

وأصل هذا الكتاب كان خطباً للجمعة ألقيت بجامع الشعيبـــي بجـــدة ؛ أحببت أن تعمَّ الفائدة بها ، وأن ينالني ثوابها ، فجمعتها ورتبتـــها في هـــذه الصفحات ، واجتهدت في هذه الرسالة أن تكون على طريقة النظر في أبرز ألفاظ هذه السورة، وما يقابلها من آيات القرآن الكريم، وكذلك ما جاء في سنة النبي e مما له صلة بهذه الألفاظ ، فوجدت أموراً كثيرة ترتبط بعضها ببعض، ولعلَّ المتعمِّق أكثر يجد روابط وعلاقات بين هذه الأمور بشكل أكبر

وما ذكرته قليل من كثير مما لو تأمَّل فيه المتأمل ، ونظر فيه الناظر لوجد أنه يسير من معنى إلى معنى مجاور بلا توقف، مما يجعل هذا القرآن الكريم بحق بحراً لا ساحل له، وصدق الله U إذ يقـــول: { وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ } [لقمان : ٢٧]

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله رب العلمين .

وكتبه / د. عبد الله بن علي بصفر

الاستعاذة

معنى الاستعاذة [1] :

معنى الاستعاذة : هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شرِّ كلِّ ذي شر .

والعياذةُ بالله تكون لدفع الشرِّ ، واللياذ يكون لطلب جلب الخير ، قال المتنبي في ذلك :

يامَن ألوذ به فيما أُؤمِّله ومَن أعوذ به مما أُحاذِره

لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يَهيضون عظماً أنت جابره

والشيطان في لغة العرب مشتقٌ من (شَطَن) ، إذا بَعُد فهو بعيدٌ بطبعه عن طباع البشر، وبعيدٌ بفسقه عن كلِّ خير ؛ وبعيد عن كل صلاح ورشدٍ ، فلذلك سُمِّي بالشيطان .

صيغتها :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

ولو قال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فلا بأس به ، والأول أصح وأشهر .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/١٤٠) ط . دار ابن حزم بتحقيق د. محمد إبراهيم البنا ، وهو هنا بتصرف يسير .

وهناك لفظ ثالث جاء عن النبي e فيما رواه أصحاب السنن الأربعة وهو بعد دعاء الاستفتاح ، فعن أبي سعيد الخدري t قال : كان رسول الله e إذا قام من الليل واستفتح صلاته وكبَّر ، قال : (سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جَدُّك ، ولا إله غيرك) ثم يقول : (لا إله إلا الله) ثلاثاً ، ثم يقول : (الله أكبر كبيراً) ثلاثاً ، ثم يقول : (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه) ثم يقرأ [١].

وهمزه : الجنون ، ونفخه : الكبر ، ونفثه : الشِّعر .

حكمها :

جمهور العلماء على أنها سنة عند تلاوة القرآن وقبل الفاتحة في الصلاة لقوله تعالى : { فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ } [٢] .

وهي مستحبة عند التداوي بالقراءة، وفي أول كلِّ ركعة، وقيل : إنما تستحبُّ عند الركعة الأولى ، ويستحبُّ التعوذ أيضاً في التكبيرة الأولى من صلاة الجنازة .

---

(١) أخرجه أبو داود (٧٧١) واللفظ له ، والترمذي (٢٤٢) كلاهما في الصلاة ، والنسائي (٨٩٨) كتاب الافتتاح ، وابن ماجه (٨٠٤) في الإقامة ، وهو في المسند (٣/٥٠) .

(٢) النحل : ٩٨ –١٠٠ .

ورودها في القرآن الكريم :

وجاءت في القرآن العظيم في أربعة مواضع :

الموضع الأول : قوله تعالى: { خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[(١)].

الموضع الثاني : قوله: { ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ }[(٢)] .

الموضع الثالث : قوله تعالى : { ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ }[(٣)].

فهذه الآيات تأمر بمصانعة العدوّ الإنسي والإحسان إليه، ليرجع عن طبعه السيء . أما العدوُّ الجني فليس له إلا الاستعاذة بالله منه ؛ لأنه لا مصانعة معه ولا يقبلها ؛ فعداوته ظاهرة، وهو لا يريد لابن آدم إلا الأذى والضرر .

الموضع الرابع : قوله تعالى : { فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ }[(٤)].

---

(١) الأعراف : ١٩٩ -٢٠٠ .

(٢) المؤمنون : ٩٦-٩٨ .

(٣) فصلت : ٣٤-٣٦ .

(٤) النحل : ٩٨ —١٠٠ .

الحالات التي يُستحبُّ ذكر الاستعاذة فيها :

ولقد علَّمنا النبي e الاستعاذة بألفاظ مختلفة لحالات عديدة منها :

١ - روى مسلم عن عثمان بن أبي العاص t أنه أتى النبي e فقال : يا رسول الله ، إنَّ الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي ، وقراءتي يُلبِّسها عليَّ - أي أن الشيطان يوسوس له في صلاته ، فإذا جاء يصلي تذكَّر الدنيا ، وتذكر التجارة ، وتذكر اللهو ، وتذكر اللعب . فالشيطان يريد أن يصرفه عن ذكر الله تبارك وتعالى ، وعن الصلاة – فقال له e : **(ذاك شيطانٌ يقال له خِنْزَبٌ ، فإذا أحسسته ، فتعوذ بالله منه ، واتفل على يسارك ثلاثاً)** قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عني [١] .

وهذا الشيطان هو عدونا جميعاً لأنه كثيراً ما يلبس علينا صلاتنا ، وكثيراً ما يضيِّع الناس عن قراءتهم لله تبارك وتعالى ، ووقوفهم بين يدي الله U ، فإذا صلَّى الإمام وسألت بعض المأمومين: ماذا قرأ الإمام في الركعة الأولى ؟ لما استطاع الجواب !! لأنه ليس هنا ، وإنما هو هناك في مكان آخر لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ، وهذا حال كثير من الناس ، فعدوُّنا إذاً في الصلاة هو الشيطان (خِنْزَبٌ) ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثاً.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٠٣) .

(قال : ففعلت ذلك فأذهب الله ذلك عني) استعاذ بالله U ، التجـأ واعتصم وتمسك بالله تبارك وتعالى وقال : (أعوذ بـالله مـن الـشيطان الرجيم).

وينبغي عند الإستعاذة أن تُقال من قلبٍ صادق ، من قلب يريـد الله ، يريد أن يخشع في صلاته ، يريد أن يقف متبتلاً بين يدي الله U ، من قلبٍ يعلم أنه لا يلوذ ولا يعوذ إلا بالله سبحانه وتعالى .

٢ - وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله e كـان يعلِّمهم من الفَزَعِ - يعني : في النوم أو الدهـشة - كلمـاتٍ : (**أعـوذ بكلمات الله التامة ، من غضبه وشرِّ عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**) قال: وكان عبد الله بن عمرو يعلمهنَّ من عَقَلَ من بنيه، ومن لم يعقل كتبه فعلَّقه عليه[١].

٣ - وعن أبي قتادة t قال : قال النبيُّ e : (**الرؤيا الصالحة من الله، والحُلْمُ من الشيطان ، فمن رأى شيئاً يكرَهُهُ، فلينفُثْ عن شمالـه ثلاثـاً، وليتعوَّذ من الشيطان، فإنها لا تضرُّه**) [٢] .

٤ - وعن أنسٍ t أنَّ الرسول e كان يقول عند دخـول الخـلاء : (**اللهمَّ إني أعوذُ بك من الخبثِ والخبائث**) [١] .

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٨٩) في الطب ، باب : كيف الرُّقى ؟ ، والترمذي (٣٥٢٨) في الدعوات ، وقال : حديث حسن غريب .

(٢) رواه البخاري (٦٩٩٥) ، ومسلم (٢٢٦١) .

والخبث : ذكور الجن ، والخبائث : نساؤهم.

٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي e يعوِّذ الحسن والحسين ويقول : (**إن أباكُما كان يُعَوِّذُ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة**) [٢] .

والهامَّة : هي كلُّ ذات سمٍّ يقتل كالحية وغيرها .

والعين اللامَّة : هي التي تصيب من نظرت إليه بسوء .

وتعويذ الصغار مطلوب ، لأن الصغير ضعيف بطبعه ، ولا يستطيع أن يتحصن بالقرآن ، ولا يستطيع أن يذكر الأذكار والأدعية والآيات ؛ هو لا يستطيع التلفظ ، فالأب والأم عليهما مسئوليَّة التعويذ ، فكان عليه الصلاة والسلام يُعَوِّذ الحسن والحسين بهذه التعويذة العظيمة .

٦- وعن خولةَ بنتِ حكيمٍ السُّلَمِيَّة رضي الله عنها أنها سَمِعَتْ رسول الله e يقول : (**إذا نزل أحدكم منزلاً فَلْيَقُل : أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق ، فإنه لم يضرُّه شيءٌ حتى يرتَحِلَ منه**) [٣] .

٧- وعن أبي هريرة t أن النبي e قال : (**إذا سمعتم صياح الديكة ، فاسألوا الله من فضله ، فإنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار**

---

(١) رواه البخاري (١٤٢) ، ومسلم (٣٠٥) .

(٢) رواه البخاري (٣٣١٧) .

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٨) .

ـ وفي رواية : نباح الكلاب ـ فتعوَّذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطاناً) [1].

وفيه استحبابُ الدعاءِ عند سماعِ صياح الديكة ، لأنها رأتْ ملكاً من الملائكة ؛ والملائكة إنما تأتي بالخير والرحمة ، ولعل الوقت أن يكون وقت إجابة للدعاء .

وفيه : استحباب التعوذ بالله من الشيطان ، عند سماع نهيق الحمير أو نباح الكلاب فإنها رأت شيطاناً ، والشيطان إنما يوسوس بالشر ويدعو إليه ؛ فلذا يستحب الاستعاذة منه .

٨- وعن سليمان بن صُرَد t أنه قال : كنت جالساً مع النبي e ورجلان يستبَّان ، فأحدهما قد احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه - أي أن الرجلان اختصما حتى وصلا إلى درجة السبابِ بينهما ، وأحدهما احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه من شدة الغضب - فقال e : (**إني لأعلم كلمةً لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ذهب عنه ما يجد)** ، فقالوا له : إنَّ النبي e قال : (**تعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم)** فقال : وهل بي من جنون [2].

ومثل ذلك لما يذكَّر بعض الناس: صَلِّ على رسول الله e ؟ فيقول لك: لا أصلي على رسول الله ! عليه الصلاة والسلام ، أو يُقال له : اتق الله .

---

(١) رواه البخاري (٣٣٠٣) ، ومسلم (٢٧٢٩) .

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٨) ، ومسلم (٢٦١٠) .

فيقول أنا متقِ الله U من قبل أن أعرفك !!. ومثل هذه الكلمات إنما تدل على أن الإنسان عندما يغضب قد يفقد عقله ، وقد يفقد دينه والعياذ بالله U ، فعلى من شعر بذلك أن يلجأ إلى الله ، وأن يستعيذ بحمى الله ، وأن يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . فإن في هذه الكلمات بإذن الله U علاجاً وشفاءاً من هذا الداء .

فهذه أدوية ، وهذه وصفات من صيدلية النبي محمد e ، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، حريٌ بنا أن نحفظهـــا ، وأن نُعَلِّمهـــا أبناءَنا .

# # # #

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بها :

هي مفتاح القرآن، وأوَّل ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ، وأوَّل ما أمر الله به جبريل أن يُقرِأَهُ رسول الله e ، وأوَّل ما قرأ به محمد e حين نزل عليه قولُ الحقِّ تبارك وتعالى : { ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ .... } (1) . فكان أول أمر يترل على صدرِ النبي e وقلبه وعقله .

ومعنى بسم الله أي : أبدأ قراءتي باسم الله ، أو : باسم الله أبدأ قراءتي ، والبدأُ بها للتبرك .

والحكمة في تأخرها عن الاستعاذة : تقدُّمُ التخلية على التحلية ؛ فيخلِّي القلب والعقل عن الشيطان الرجيم ، ويُطهِّر النفس من وساوس الشيطان ، ثم يذكر الله تبارك وتعالى .

واتفق العلماء على أن { بسم الله الرحمن الرحيم } جزء آية من سورة النمل ، في قول الله U: { إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ }(2).

واتفقوا على عدم قراءتها في أول سورة التوبة ؛ سورة براءة ، لأنها نزلت بالسيف ، ولأنها نزلت بالإذن والأمر من الله تبارك وتعالى للنبي عليه الصلاة

---

(1) العلق : ١-٤ .

(2) النمل : ٣٠ .

والسلام بقتال المشركين كآفة ، وإخراجهم من جزيرة العــرب ، فلــذلك لم يتناسب أن يبدأ بها بالبسملة { بسم الله الرحمن الرحيم } ، وكلــها رحمــة وكلها ترحُّم ؛ وأولئك الكفار المعاندون لا تليق بهم الرحمة ولا الترحم.

واختلف الفقهاء والعلماء هل هي آية من كل سورة أم أنها نزلت للفصل بين السور ؟.

فقد جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه ما كان يعلم نهاية السورة حــتى تنزل عليه { بسم الله الرحمن الرحيم } فيعرف أن السورة قد انتــهت ، وأن السورة التي تليها قد ابتدأت ، فلذلك اختلف العلماء هل هي آية مــن كــل سورة ؟ أو أنها نزلت للتبرُّكِ وللفصل بين السور ؟! واختلفوا أيضاً : هل هي آية من سورة الفاتحة ؟.

وأكثر العلماء على أنها آية من كل سورة ، إلا سورة براءة كما ذكرنــا ، كما حكى ذلك الإمام النووي رحمه الله تبارك وتعالى فقد ذكر أن أكثر العلماء على أن { بسم الله الرحمن الرحيم } هي آية من الفاتحة ، ومن كــل ســورة سوى براءَة (١) .

ثم اختلفوا: هل يجهر عند قراءَة الفاتحة في الصلاة بقراءة البسملة أم يسرُّ بها ؟ بناءاً على اختلافهم على أنها آية من سورة الفاتحة أو ليست بآية ، والصحيح أنه يجوز الجهر بها ويجوز الإسرار بها ، لأنه ثبت عن النبي e هذا ، وثبــت ذاك ، والأرجح عند علمائنا أن الإسرار بها أصح والله تبارك وتعالى أعلم وأَجَلّ .

---

(١) التبيان صــ (٨٠) ط. مكتبة المؤيد .

من فضائل البسملة :

جاء في فضلها ما رواه ابن مَردَويه من حديث يزيد بن خالـــد ، عـــن سليمان بن بريدة عن أبيه أنَّ الرسول e قال : (**أُنزلت عليَّ آيةٌ لم تنزل على نبي غير سليمان بن داود وغيري وهـــي : { بـــسم الله الـــرحمن الرحيم}**)[١] . وبهذا الحديث استدل من قال إنها آية من كل سورة .

وعن جابر بن عبد الله t قال: (لما نزل { **بسم الله الرحمن الرحيم** } هرب اليمُّ[٢] إلى المشرق ، وسكنت الريح ، وهاج البحر ، وأصْغَت البهائم بآذانها ، ورُجمت الشياطين من السماء ، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله لا يُسمَّى اسمُه على شيءٍ إلا بارك فيه)[٣] .

وعن ابن مسعود t قال : (من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التـــسعة عشر، فليقرأ : { **بسم الله الرحمن الرحيم** } لِيجعل الله له من كلِّ حرفٍ منها جُنَّةً من كل واحد)[٤] . لأن عدد حروفها تسعة عشر حرفاً .

---

(١) ابن كثير (١ : ١٤٤) .
(٢) هكذا في تفسير ابن كثير .
(٣) ابن كثير (١ : ١٤٤) .
(٤) المصدر السابق .

ومما جاء في بركتها :

١ - عن أبي هريرة t عن النبي e أنه قال : (**كُلُّ كلامٍ أو كلُّ أمـــرٍ ذي بالٍ لا يُفتَحُ بذكرِ الله ، فهو أَبْتَرُ**) أو قال : (**أقطعُ**) [١] .

فعلى المسلم أن تكون هذه الكلمات في بداية كل أموره وشـــئونه ، في أعماله الدينية والدنيوية ، إذا أراد أن يشرع فيها فليبدأها ببسم الله الرحمن الرحيم ، وإذا شرع عملاً من أعمال الدنيا أو الدين فيبسمل فيه ، فلا ينبغي له أن يقول { بسم الله } في أول الأمر، ثم يخالف بعد ذلك أمر الله ، بـــل يتعظ ويتذكر أنه بدأ ببسم الله تبارك وتعالى ، فينبغي أن يكون ذلك العمل الذي بدأه بسم الله U موافقاً لإرادة الله U، موافقاً لشرع الله ، فلـــذلك إذا بدأ المسلم أي مناسبةٍ من المناسبات العظيمة التي يهتم بها ؛ زواج ابنه أو ابنته مثلاً ، فإن قال : { بسم الله الرحمن الرحيم } ، فليجعل الزواج على سنة رسول الله e ، وعلى شرع الله ، على ما يحب ربنا تبـــارك وتعـــالى ويرضى .

وذلك لأن العملَ إما أن يكون { بسم الله } ، وعلى شـــرع الله ، أو بسم الشيطان والعياذ بالله U ، وعلى منهج الشيطان .

فإذا كان { بسم الله } ، بارك الله U فيه ، ووفَّق الزوجين ، ورزقهما الذرية الصالحة ، وجمع بينهما في خير ، وألَّف بين قلبيهما .

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢ : ٣٥٩) ، وقال محققو المسند (٨٧١٢) : إسناده ضعيف.

وإن كان على اسم الشيطان ؛ والمصاريف الزائدة ، والتكاليف والطمع ، والمعاصي والمنكرات ؛ فلا توفيق ، ولا بركة ، ولا حياة سعيدة ...إلخ .

إذاً فلنتق الله U ، ولنجعل كل شئوننا بسم الله تبارك وتعالى ، من ابتدائها إلى نهايتها .

٢- وعن أنس t قال : قال رسول الله e : (إذا خرج الرجل من بيته فقال : (**بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له: حَسْبُك هُدْيت وكُفِيتَ ووُقيت ، وتنحَّى عنه الشيطان**) [(١)] .

كلماتٌ يسيرة لها كلّ هذا الفضل ؛ لكن : قَلَّ من يتذكرها ، ويحفظها ، ويردّدها !! .

٣- وعن عثمان بن عفان t قال : قال رسول الله e : (**ما من عبدٍ يقول في صباح كلِّ يومٍ ومساء كلِّ ليلة : بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات فيضرُّه شيءٌ**) [(٢)] .

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٢٦) وقال : حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . والنسائي (٨٩) في عمل اليوم والليلة ، وابن حبان (٨٢٢) .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٨٥) وقال حديث حسن صحيح ، وأبو داود (٥٠٨٨) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٥) ، وابن ماجه (٣٨٦٩) ، والحاكم (٥١٤/١) وقال : صحيح الإسناد .

ضمان من النبي عليه الصلاة والسلام ، هنا تأميناتٌ ربانية يعطيــك الله U إيَّاها ، لا تدفع فيها أموالاً ، ولا تتعب ولا تشقى ، وإنما فقط تــتلفظ بهذه الكلمات ، فهو تأمينٌ ، وتأمينٌ عظيم من الله تبارك وتعالى .

٤ - وعن أبي هريرة t أن رسول الله e قال : **(إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخِلَةَ إزاره ــ** أي: طرفه ــ **فلينفض بها فراشه ، وليُســمِّ الله فإنه لا يعلم ما خلَفَه بعده على فراشـــه ، فــإذا أراد أن يــضطجع فليضطجع على شِقِّهِ الأيمن وليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبـــادك الصالحين)** [1] .

٥ - وعن عائشة رضي الله عنها : أنَّ النبي e كان إذا اشتكى الإنسانُ الشيءَ منه أو كانت قَرْحةٌ أو جَرْحٌ قال النبي e بإصبعه هكذا ، ووضـــع سفيان بن عيينة الراوي سبابته بالأرض ثم رفعها وقال : **(بسم الله . تُربَةُ أرضنا ، بريقةِ بعضنا ، لِيُشفى به سقيمنا بإذن ربنا)** [2] .

٦ - وعن عثمان بن أبي العاص t أنه شكا إلى رسول الله e وجعـــاً يجده في جسده ، فقال له رسول الله e : **ضع يدك على الذي تألَّم مـــن جسدك وقل :(بسم الله) ثلاثاً ، وقل سبع مرات :(أعوذ بالله وقدرته**

---

(١) رواه البخاري (٣٦٢٠) ، ومسلم (٢٧١٤) .

(٢) رواه البخاري (٥٧٤٥) ، ومسلم (٢١٩٤) .

من شرِّ ما أجد وأُحاذر) [١] - وجاء في رواية : ففعلت ذلك ، فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم [٢].

٧- ويستحبُّ أن يقول عند استلام الحَجر الأسود وعند ابتداء الطواف : **(بسم الله والله أكبر ، اللهم إيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك ، ووفاءً بعهدك ، واتباعاً لسنة نبيك e)** [٣].

٨- وعن أبي سعيد t أنَّ جبريل أتى النبي e فقال : يا محمد ، اشتكيت ؟ قال : نعم . قال : **(بسمِ اللهِ أرقيك ، من كلِّ شيءٍ يؤذيك، ومن شرِّ كلِّ نفسٍ أو عين حاسدٍ الله يشفيك ، باسم الله أرقيك)** [٤] . فهذه هي رقية جبريل علي السلام لنبينا e ، وابتدأها باسم الله ، واختتمها باسم الله .

---

(١) رواه مسلم (٢٢٠٢) واللفظ له ، وأبو داود (٣٨٩١) والترمذي (٢٠٨٠) وعندهما : (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجدُ وأُحاذِر) .

(٢) رواها مالك في الموطأ (٩٤٢/٢) .

(٣) رُوي هذا الذكر عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول إذا استلم الحجر : " اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك وسنة نبيك ثم يصلي على النبي e " . مجمع الزوائد (٢٤٠/٣) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

(٤) رواه مسلم (٢١٨٦) .

٩ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي e كان إذا وضع الميت في القبر قال : (**بسم الله وبالله وعلى سنَّة رسوله e**)(١) .

١٠ - وعن حذيفة t قال : كُنَّا إذا حضرنا مع رسول الله e طعاماً ، لم نضع أيدينا حتى يبدأَ رسولُ الله e فيضع يَده - وهذا من الأدب ؛ من الأدب أن لا يبدأ أحد بتناول الطعام حتى يبدأ كبير القوم ، أو أعلمهم ، أو أفضلهم ، وهكذا ينبغي أن نكون متأدبين - ، وإنا حضرنا معه مرةً طعاماً، فجاءت جاريةٌ كأنها تُدفع ، فذهبت لتضع يدها في الطعام ، فأخذ رسول الله e بيدها ، ثم جاء أعرابيٌ كأنما يُدفع ، فأخذ النبي e بيده ، فقال رسول الله e : (**إنَّ الشيطان يستحلُّ الطعام أن لا يُذكَر اسم الله عليه،** ــ أي : يستبيحه ويصبح له حلالاً عند عدم ذكر الله تعالى ــ **وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها ، فأخذت بيدها ، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده ، والذي نفسي بيده ، إنَّ يده في يدي مع يدِها، ثم ذكر اسم الله تعالى وأكل**)(٢) .

فما أكثر الذين لا يُسمُّون الله عند طعامهم وشرابهم ؟! فيشركون معهم بذلك الشيطان !!، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(١) رواه الترمذي (١٤٠٦) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. ورواه الحاكم (١٣٩٤)، وابن ماجه (١٥٥٠)، وهو عند الطبراني في الأوسط (٨٣٣٦).

(٢) رواه مسلم (٢٠١٧) .

١١- وعن أُمَيَّة بنِ مَخْشِيٍّ t قال: كان رسول الله e جالساً ورجلٌ يأكل ، فلم يسمِّ حتى لم يبق من طعامه إلا لقمةٌ ، فلما رفعها إلى فيه قال : بسم الله أوله وآخره . فضحك النبي e ثم قال : (**مازال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه**)[١].

١٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي e : (**لو أنَّ أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان مارزقتنا فقُضي بينهما ولدٌ لم يضره شيطان أبداً**) [٢]. وهذا ببركة هذه البسملة .

١٣- وعن أبي المليح عن رجل قال : كنت رديف رسول الله e فعثرت دابته ، فقلت : تعس الشيطان ، فقال e : (**لا تقل : تعس الشيطان ؛ إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول : بقوتي** - لأنه استطاع أن يغيظ هذا الإنسان ويغضبه، وهذا ما يريده الشيطان !! - **ولكن قل: { بسم الله } ، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب**) [٣].

---

(١) رواه أبو داود (٣٧٦٨) ، والنسائي (٢٨٢) في عمل اليوم والليلة، والحاكم (٤/ ١٠٨) وقال : صحيح الإسناد .

(٢) رواه البخاري (٧٣٩٦) ، ومسلم (١٤٣٤) .

(٣) رواه أبو داود (٤٩٨٢) ، والنسائي (٤٨١٧) ، والحاكم (٤/ ٢٩٢) وقال : صحيح الإسناد .

# # # #

الله جل جلاله

الاسم الخاص به سبحانه :

الله جل جلاله ، وعمَّ نواله ، وتعالى جدُّه ، وجل ثنــاؤُه ، وتقدَّســت أسماؤه ولا إله غيره ؛ فلفظ الجلالة " الله " : عَلَمٌ على الربِّ تبارك وتعالى ، وهو الاسم المفرد العلم لذاته القدسية ، الجامع لجميع الصفات الإلهية ، ولا يُسمَّى أحدٌ من خلقه باسم { الله } لا حقيقةً ولا مجازاً ، بخلاف غيره من الأسماء ، فإنه يجوز الوصف بها ، فتقول : عالمٌ وقادر . وقد ورد ذكــره في القرآن الكريم (١٦٩٧) مرة .

معناه واشتقاقه :

نقل الحافظ ابن كثير في تفسيره[١] عن العلماء أقوالاً في معناه واشتقاقه ، منها :

قال القرطبي [٢] : قيل : هو مشتق من وله ، إذا تحيَّر . والوَله : ذهــاب العقل ... فالله تعالى سبحانه تتحيَّر الألباب وتذهب في حقــائق صــفاته والفكر في معرفته ، فعلى هذا أصل " إلاه " : " ولاَه " وأنَّ الهمزة مبدلة من واو .

---

(١) (١/ ١٤٧ - ١٤٩) وهو هُنا بتصرف منه .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٧٢) ط . دار الكتب العلمية .

وقال الرازي : وقيل : إنه مشتق من "أَلَهْتُ إلى فلانٍ" أي : سكنت إليه فالعقول لا تسكن إلا لذكر الله ، والأرواح لا تعرج [١] إلا بمعرفته ، لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره قال الله تعالى : { ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ } [٢] .

قال : وقيل : من لاه يلوه ، إذا احتجب .

وقيل : اشتقاقه من أله الفصيل إذا أُولع بأمه .

والمعنى : أن العباد مولهون مولعون بالتضرُّع إليه في كلِّ الأحوال .

قال : وقيل : مشتق من أله الرجل يأله : إذا فزع من أمرٍ نزل به فألهه ، أي : أجاره ، فالمجير لجميع الخلائق من كلِّ المضار هو الله سبحانه وتعالى ، لقوله U : { وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ } [٣] .

وقيل : إنه مشتق من الارتفاع ، فكانت العرب تقول لكلِّ شيءٍ مرتفع : لاهاً ، وكانوا يقولون إذا طلعت الشمس : لاهت .

وقيل : إنه مشتق من أله الرجل : إذا تعبد وتأله إذا تنسَّك ... وأصل ذلك الإله ، فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة ، فالتقت اللامان ، فصارت في اللفظ لاماً واحدةً مشدَّدة ، وفُخِّمت تعظيماً ، فقيل { **الله** } .

---

(١) كذا في تفسير الرازي (١/١٣٤) ط . دار الكتب العلمية ، ولعله تصحيف من "تفرحُ"، أو أن يكون المراد : لا تعرج إلى الكمالات والمعالي إلا بمعرفته، والله أعلم .

(٢) الرعد : ٢٨ .

(٣) المؤمنون : ٨٨ .

وقال جماعة من العلماء : بل اسم جامد غير مشتق " لأنه اسم لم يُسمِ الله تبارك وتعالى به غيره " .

وقال الحافظ ابن كثير : يقال : إنه الاسم الأعظم ؛ لأنه يوصف بجميع الصفات ، كما قال الله تعالى : { هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ } (1) فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له، كما قال الله تعالى : { وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ } ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : " **إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة** " (2) .

أسماء الله الحسنى في القرآن :

وقد جمعها الحافظ ابن حجر - رحمه الله - من القرآن الكريم ، وهي :

الله - الرحمن - الرحيم - الملك - القدوس - السلام - المؤمن - المهيمن - العزيز - الجبار - المتكبِّر - الخالق – البارئ - المصور – الغفار- القهار – التوّاب – الوهاب – الخلاق – الرزاق – الفتاح – العليم – الحليم – العظيم – الواسع – الحكيم – الحيّ – القيوم – السميع – البصير – اللطيف – الخبير – العلي – الكبير – المحيط – القدير – المولى – النصير – الكريم – الرقيب – القريب – المجيب – الوكيل – الحسيب – الحفيظ – المقيت – الودود – المجيد – الوارث – الشهيد – الولي –

---

(1) الحشر : ٢٢ .

(2) رواه البخاري (٢٧٣٦ ، ٦٤١٠ ، ٧٣٩٢) ، ومسلم (٢٦٧٧) .

الحميد – الحق – المبين – القوي – المتين – الغني – المالك – الشديد – القادر- المقتدر – القاهر – الكافي – الشاكر – المستعان – الفاطر – البديع – الغافر – الأول – الآخر – الظاهر – الباطن – الكفيل – الغالب – الحكم – العالم – الرفيع – الحافظ – المنتقم – القائم – المحيي – الجامع – المليك – المتعالي – النور – الهادي – الغفور – الشكور – العفو – الرؤوف – الأكرم – الأعلى – البر- الحفي – الرب – الإله – الواحد – الأحد – الصمد – الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد [1] .

اسم الله الأعظم :

عن أبي أمامة t – يرفعه إلى النبي e – قال :

(اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في ثلاث سورٍ من القرآن في البقرة ، وآل عمران ، وطه) [2] .

في سورة البقرة : { ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ } [3] .

وفي سورة آل عمران : { ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ } [4] .

وفي سورة طه : { ۞وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ } [1] .

---

(١) " فتح الباري " : (١١/ ٢٢٢ ، ٢٢٣) .

(٢) رواه أحمد (٦ / ٤٦١) رقم (٢٧٦١١) وقال محققو المسند : إسناده ضعيف .
والحديث رواه الطبراني في الأوسط (٨٣٧١) ، وهو عند الحاكم (١/٥٠٦) ، وابن ماجه (٣٨٥٦) .

(٣) البقرة : ٢٥٥ .

(٤) آل عمران : ٢ .

وعن سعد بن أبي وقاص t قال: قال رسـول الله e : (دعـوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت : { لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ } [٢] إنه لم يدعُ بها مُسلمٌ في شيءٍ قَطٌّ إلا استجاب الله له بها)[٣].

قال بعض العلماء : والذي يظهر من المقارنة بين النصوص التي ورد فيها اسم الله الأعظم أنه " **الله** " فهذا هو الاسم الوحيد الذي يوجد في جميـع النصوص التي قالها رسول الله e ، والله تعالى أعلم .

وعن السِّرِيِّ بن يحيى عن رجلٍ من طِيِّئٍ – وأثنى عليه خـيراً – قـال : كنت أسأل الله U أن يريني الاسم الذي إذا دُعي به أجـاب ، فرأيـتُ مكتوباً في الكواكبِ في السماء : **يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام** [٤] .

---

(١) طه : ١١١ .

(٢) الأنبياء : ٨٧ .

(٣) رواه الحاكم (١٩٠٥) واللفظ له ؛ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه . ا.هـ. ورواه أحمد مطوّلاً (١٤٦٢) وقال محققو المسند : إسناده حسن ، ورواه الترمذي كذلك مختصراً (٣٥٠٥) .

(٤) ذكره الحافظ المنذري في الترغيب في كتاب " الذكر والدعاء " (٢٤٤٥) وقال : رواه أبو يعلى ، ورواته ثقات .

وعن ابن عباس وأبي الدرداء رضي الله عنهما قالا : اسم الله الأكــبر **ربِّ ربِّ.**

وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى عثمان بن عفان t أنه سأل رســول الله e عن (بسم الله الرحمن الرحيم) ؟ فقال e : (**هو اسم من أسماء الله، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين وبياضــهما مــن القرب**) [1] .

وعن بريدة t أنَّ الرسول e سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد ، الــذي لم يلــد و لم يولد، و لم يكن له كفواً أحد . فقال : (**والذي نفسي بيده لقد ســأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئل به أعطى**) [2].

وعن أبي سعيد الخدري t قال : مرّ رسول الله e بأبي عياشٍ زيد بن الصامت الزُّرَقيّ ، وهو يصلي ويقول : " اللهم إني أسألك بأنَّ لك الحمد لا إله إلا أنت ، يا حنان يا منان ، يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجــلال

---

(١) ابن كثير (١ : ١٤٤) .

(٢) رواه الترمذي (٣٤٧٥) وقال : حديث حسن غريــب ، وأبــو داود (١٤٩٣) ، وأحمد (٥/٣٦٠) ، وابن ماجه (٣٨٥٧) وقال محققو المسند (٢٣٠٤١) : إسناده صحيح .

والإكرام " فقال رسول الله e : **(لقد دعا الله باسمه الأعظم الـــذي إذا دعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى)** [١].

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، أنَّ النبي e قـــال : **(اســـم الله الأعظم في هاتين الآيتين: { وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ }** [٢]، وفاتحة سورة آل عمران : { ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ } [٣]) [٤].

اللهم إنا نسألك بأنّا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الـــصمد الذي لم يلد و لم يولد ، و لم يكن له كفواً أحد .

اللهم إنا نسألك بأنَّ لك الحمد لا إله إلا أنت يا حنان ، يا منان يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا رب يا رب ، يا حي يـــا قيوم ، لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم أن ترزقنا العلمَ النافع والعمل الصالح ، وأن تدخلنا الجنّة وتنجينا من النار ، وأن تجعل هذه الـــدنيا في أيـــدينا ولا

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣٤٩/٥ ، ٣٦٠) واللفظ له ، وابن ماجه (٣٨٥٨) ، وأبـــو داود (١٤٩٥) ، والنسائي (المجتبى ٥٢/٣) ، وابن حبان في صحيحه (٨٩٠) ، والحاكم (٥٠٤/١) وزاد هؤلاء " يا حيٌّ يا قيوم " ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

(٢) البقرة : ١٦٣ .

(٣) آل عمران : ٢ .

(٤) رواه الترمذي (٣٤٧٨) وقال : حديث حسن صحيح . وأبو داود (١٤٩٦) ، وابن ماجه (٣٨٥٥) .

تجعلها في قلوبنا ، وأن تُحسن ختامنا ، وتغفر ذنوبنا ، وتـــستر عيوبنـــا ، وتحقق آمالنا ... اللهم آمين . آمين .

# # # #

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾

معنى الحمد :

قال الحافظ ابن كثير :

الحمد هو الثناء - بالقول - على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية ، والشكر - بالجَنان واللسان والأركان - على المحمود بصفاته المتعدية فقط . أ . هـ . [١] بتصرف .

فالحمد هو الثناءُ على الله باللسان ، وأما الشكر : فيكون بالقلب واللسان والجوارح ؛ فالشاكر لله تبارك وتعالى قد يكون شكره بقلبه اعترافاً وإيماناً وثقةً وتصديقاً ، وقد يكون شكره بلسانه، وقد يكون بعمله كما قال U : { ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا } [٢] فالصلاة شكر ، والصدقة شكر ، وصلة الأرحام وبر الوالدين وكل الأعمال والقربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه هي في الحقيقة شكر لله تبارك وتعالى على نعمه وآلائه، أما الحمدُ فهو الثناء باللسان على الله تبارك وتعالى .

ونقل ابن كثير عن ابن جرير الطبري قوله :

(الحمد لله) : ثناءٌ أثنى به على نفسه ، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال : قولوا : الحمد لله [٣] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٥٢) .
(٢) سبأ: ١٣ .
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٥٢) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة t عن النبي e قال : قال الله U : (قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأَل ، وإذا قال العبد : (الحمد لله رب العالمين). قال الله: حمدني عبدي...) الحديث[١].

وعن علي بن أبي طالب t لما سُئل عن الحمد قال : كلمة أحبَّهـا الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن تقال .

وقال شقيق بن إبراهيم في تفسير الحمد : قال : هو على ثلاثة أوجه :

أولها : إذا أعطاك الله شيئاً تعرف من أعطاك ، والثاني : أن ترضى بمـا أعطاك، والثالث: ما دامت قوة في جسدك أَلاَّ تعصيه، فهذه شرائط الحمد .

والألف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى، كما جاء في الحديث : (**اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كلُّه**) [٢].

وفي صحيح مسلم عن أبي مالكٍ الأشعري t أن النبي e قال : (**الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تَملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض ...**) الحديث [٣] ، والميزان كما هو معـروفٌ

---

(١) رواه مسلم (٥٥٤) في كتاب المسافرين .

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٣٣٥٥) وقال محققو المسند : إسناده ضـعيف . ا.هـ ، وانظر " تفسير ابن كثير " (١/١٥٤) .

(٣) رواه مسلم (٢٢٣) ، والترمذي (٣٥١٧) ، وابن ماجه (٢٨٠) ، والنـسائي (٥/٥) مع اختلاف يسير في اللفظ .

سعته سعة السموات والأرض ، فهذه الكلمة المباركة " الحمد لله " إذا قلتها لله تعالى ، ملأ ثوابها وأجرها ما بين السماء والأرض .

وعن جابرٍ t عن النبي e قال : (**أفضل الــذكر لا إلــه إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمدُ لله**)[1].

مدلول اسم " رب " :

والرب هو المالك المتصرِّف ، ويطلق في اللغة علـــى الـــسيد ، وعلـــى المتصرِّف للإصلاح ، وكل ذلك صحيح .

وقيل : (رب) اسمٌ من اسماء الله تعالى ، وقيل : هو الاسم الأعظم .

معنى " العالمين " :

والعالَمين : جمع عالم ، وهو كل موجود سوى الله U ؛ فكل موجـــود سوى الله جل وعلا يُسمَّى عَالَم .

والعوالم : أصناف المخلوقات في السموات ، وفي البر والبحر ، فكلـــها عوالم ، وكلُّ قرنٍ منها وجيلٍ يسمى عالَماً ؛ فما أكثر هذه العـــوالم الـــتي خلقها الله تبارك وتعالى .

فقوله جل وعلا : { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ } كلماتٌ مـــوجزةٌ قصيرة ، لكن معانيها شاملة وواسعة وضخمة وهائلة ؛ فالحمد : يشمل كل

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٠٠) ، وابن حبان (٨٤٣) ، والنـــسائي في "عمـــل اليـــوم والليلة" (٣٨١) ، والحاكم (١/ ٤٩٨) وقال : صحيح الإسناد .

أنواع الحمد لله تعالى، والرب: هو المالك المتصرف سبحانه في جميع خلقه ، والعالمين : كل خلقٍ سوى الله تعالى.

ورود الحمد في أوائل بعض السور :

واستفتح بها خمس سورٍ من القرآن العظيم :

أولها : الفاتحة { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ } ، وسُمِّيت بسورة الحمد .

ثانيها : الأنعام { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ... } .

ثالثها : الكهف { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ .... } .

رابعها : سبأ { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ } .

خامسها : فاطر { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ .... } .

السور التي اختتمت بالحمد :

وختم بها سورة الصافات في قوله تبارك وتعالى : { سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ } (١) .

وسورة الزمر : { وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ } (٢) .

مواضع أخرى للحمد :

---

(١) الصافات : ١٨٢ .

(٢) الزمر : ٧٥ .

والحمدُ آخر دعاء أهل الجنة ، كما قال تعـــالى : { دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ } (١) .

قال بعض المفسرين إذا اشتهى المسلم في الجنة الطعام فإنه يقـــول هـــذا الدعاء { سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ } فإذا قال { سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ } أوجد الله له سبحانه وتعالى ذلك الطعام ، فإذا انتهى من ذلك الطعـــام قـــال : { ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ } ، وقد علَّمنا رسولنا عليه الصلاة والسلام أن نحمد الله تبارك وتعالى على الطعام في الدنيا .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله e : (**أول مـــن يُدعى إلى الجنة الذين يحمدون الله في السرَّاء والضراء**)(٢).

أول من يدعون ويدخلون جنةً عرضها الـــسماوات والأرض ، الـــذين كانوا يقولون هذه الكلمة في السراء والضراء ، إن جاءهم النعم والخيرات لا يبطروا ولا يتكبروا ولا يتجبروا ، وإنما يقولون : الحمد لله ، اعترافاً منهم أن هذه النعم ما جاءهم من عند أنفسهم ؛ لا بذكائهم ، ولا بقـــدرهم ، ولا بإرادهم ، وإنما جاءهم بفضل من الله تبارك وتعالى وكرم ، فهذا اعتـــرافٌ بضعفهم ، واعتراف بفضل الله U عليهم في السراء .

---

(١) يونس : ١٠ .

(٢) رواه الحاكم (٥٠٢/١) وقال : صحيح على شرط مسلم ، وقال الحافظ المنذري في الترغيب (٢٣٢٤) : رواه ابن أبي الدنيا ، والبزار ، والطبراني في الثلاثة بأســـانيد أحدها حسن .

وكذلك في الضراء ؛ يقول المسلم : الحمد لله رب العالمين ، فلا يتضجر، ولا يجزع ، ولا يسخط ، بل عليه أن يصبر ويحتسب ، ويقول : الحمـــد لله رب العالمين ، لأن الله تبارك وتعالى كتب عليه ذلك ، فمـــا عليـــه إلا أن يرضى بما كتب الله U وقسم .

فضل الحمد ، وبعض صيغه :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله e يقول: **(أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله)** [١] .

ونقل الإمام ابن كثير رحمه الله عن الإمام القرطبي أنه قال : (في نـــوادر الأصول عن أنسٍ t ، عن النبي e أنه قال : **(لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمتي ثم قال: الحمد لله لكان الحمد أفضل من ذلك)**[٢].

قال الإمام القرطبي رحمه الله : أي لكان إلهامه الحمدَ أكبرَ نعمةٍ عليه من النعم الدنيا ، لأن ثواب الحمد لا يفنى ، ونعيم الدنيا لا يبقى. ا.هـــ.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله e حدَّثهم :**(أنَّ عبداً من عباد الله تعالى قال : " يا رب لك الحمد كما ينبغـــي لجـــلال**

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٣) ، وابن ماجه (٣٨٠٠) ، والنسائي في " عمل اليوم والليلة " (٣٨١) ، وابن حبان في صحيحه (٨٤٦) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن . ا.هـــ. ورواه الحاكم (١/٥٠٣) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

(٢) ابن كثير (١ : ١٥٤) ، وتفسير القرطبي (١/ ١٣١) .

وجهك ولعظيم سلطانك " فَعَضَّلتْ [1] بالملكين ، فلم يدريا كيف يكتباها، فصعدا إلى السماء فقالا : يا ربنا إنَّ عبدك قد قال مقالةً لا ندري كيف نكتبها ؟ قال الله – وهو أعلم بما قال عبده - : ماذا قال عبدي ؟ قالا : يارب إنه قال: يا ربِّ لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني ، فأجزيه بها) [2] .

وعن رفاعة بن رافع الزرقي قال : كنا يوماً نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع النبيُّ ﷺ رأسه من الركعة وقال : " **سمع الله لمن حمده** " . فقال رجل من وراءه : ربنا ولك الحمد حمداً طيباً مباركاً فيه . فلما انصرف قال ﷺ : **(من المتكلِّم ؟)** قال : أنا . قال ﷺ : **(رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها ، أَيُّهم يكتبها أوّل)** [3].

بعضُ الأحوال التي تذكر فيها (الحمد لله) :

---

(١) عَضَّلت بالملكين ، أي : اشتدت عليهما ، وعظمت ، واستغلق عليهما معناها .

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٠١) ، وقال في " الزوائد " : في إسناده قدامة بن إبراهيم ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وصدقة بن بشير لم أر من جَرَحَهُ ولا من وثقه ا . هـ . وقال المنذري في " الترغيب " (٢٣٣٣) : رواه أحمد وابن ماجه ، وإسناده متصل ، ورواته ثقات ، إلا أنه لا يحضرني الآن في صدقة بن بشير مولى العمريين جرح ولا عدالة . ا . هـ .

(٣) رواه البخاري (٧٩٩) .

١ - عند الاستيقاظ من النوم :

عن أبي ذر t قال : كان النبي e إذا أخذ مضجعه من الليل قال : **(اللهم باسمك أموت وأحيا)** فإذا استيقظ من النوم قال : " **الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور** " [١] .

فأرواح العباد يقبضها الله تبارك وتعالى بالنوم ويرسلها بالاستيقاظ ، فأما التي قضى عليها الموت فلا يردها إلى جسدها ، وأما التي كتب الله تبارك وتعالى لها البقاء فيردّها عليه ، فنحن في كل يومٍ وليلة تفارق أرواحنا أجسادنا ، وفي ذلك عبرةٌ وأي عبرة ، فعلَّمنا النبي e أن نحمد الله تعالى ، أن ردَّ إلينا أرواحنا ، وأَمَدَّ في عمرنا حتى نعبده ونطيعه .

٢ - عند الخروج من الخلاء :

ويقول عند الخروج من الخلاء : " **غفرانك ، الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني** ".

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسولُ الله e إذا خرج من الغائطِ قال : **(غفرانك)** [٢].

وعن أنس بن مالك t قال : كان رسول الله إذا خرج من الخلاءِ قال : **(الحمد لله الذي أذهبَ عَنِّي الأَذى وعافاني)** [٣] .

---

(١) رواه البخاري (٦٣٢٥) .
(٢) رواه أبو داود (٣١) ، والترمذي (٧) ، وابن ماجه (٣٠٠) ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .
(٣) رواه ابن ماجه (٣٠١) .

٣- عند افتتاح الصلاة :

عن فضالة بن عبيد قال : سمع النبي e رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي e ، فقال النبي e : " عجل هذا " ، ثم دعاه فقال له ولغيره : (**إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ، ثم ليصل على الـــنبي e ، ثم ليدع بما شاء**)[١].

ولذلك لما تكون الشفاعة العظمى يوم القيامة ، لما يقـــف الخلائـــق في عرصات يوم القيامة ، في أرض المحشر ، خمسين ألف سنة ، وهم قيـــام في تعبٍ ومشقة ، ثم يطلبون من الأنبياء واحداً بعد الآخر ، وكل واحدٍ منهم يقول : نفسي نفسي ، ويردُّهم إلى غيره ، حتى يأتوا إلى النبي محمـــدٍ e ، فيذهب عليه الصلاة والسلام فيسجد تحت العرش ، ويلهمـــه الله تبـــارك وتعالى من التحميدات ، ومن التسبيحات ، ومن الثناء مـــا يلهمـــه U ، فيكون ذلك الثناء وذلك الدعاء العظيم الذي فيه الحمد لله تبارك وتعالى ، سبباً لكشف الكربات عن الناس أجمعين في ذلك الموقف الرهيب العظيم .

٤ - عند الطعام :

عن أنس بن مالك t قال : قال رسول الله e : (**إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**)[٢].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٣ ، ٣٤٧٥) ، وأبو داود (١٤٨١) وقال الترمذي : هـــذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٤) .

يرضى سبحانه وتعالى عن عبده لأنه تذكر ؛ لأنك إذا تذكرت الله U على طعامك وقلت : الحمد لله رب العالمين ، تقولها وأنت تعلم أن ذلك الطعام الذي جاء ، لا يعلم إلا الله U من أيِّ بلاد جاء ، وكيف زُرِعَ ، وكيف حُصِدَ ، وكيف صنع ، وكيف جيء به من بلاد بعيدة عبر الطائرات والسفن ، حتى وصل إليك ؛ أفلا تشكر الله U أن ساق لك هذا الرزق من بلاد عديدة ، ومن أيادٍ مختلفة ، ومن أتربةٍ متنوعة ، جاء لك به سبحانه وتعالى من كل مكان ، فلو تَمَعَّنَ كلُ واحدٍ منا في الطعام الذي بين يديه ، كيف وصل إليه ، وبأي طريقة ، وبأي وسيلة ، لوجد أمراً عجباً ، وكل ذلك من توفيق الله تبارك وتعالى .

وعن معاذ بن أنس عن أبيه أنَّ رسول الله e قال : **(من أكل طعاماً ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولاقوة ، غُفِر له ما تقدم من ذنبه)** [1] .

من قال هذا الدعاء غفر له ما تقدم من ذنبه ، نعم غفر الله له ذنبه لأنه اعترف بأنه ضعيف ، وليس هو الذي جاء بهذا الطعام وإنما الله تبارك وتعالى هو الذي ساقه له .

٥- عند رؤية مبتلى :

---

(١) رواه أبو داود (٤٠١٩) ، والترمذي (٣٤٥٨) ، وابن ماجه (٣٢٨٥) . وقال الترمذي : حديث حسن غريبٌ .

عن أبي هريرة t قال : قال رسول e : **(من رأى مُبتلىً فقال : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، وفضلني على كثير مِمَّن خلق تفضيلا ، لم يصبه ذلك البلاء)** [١].

وعن عمر t أن رسول الله e قال : **(مَن رأى صاحبَ بلاءٍ فقال : "الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلقَ تفضيلاً" إلا عُوفِيَ من ذلك البلاء كائناً ما كان ، ما عَاشَ)** [٢] .

تحصين من الله U ، ومن سنة نبيه محمد e ، وليس كما يفعل بعض من الناس وللأسف الشديد ؛ إذا رأى مبتلاً سخر منه !!.

فإذا أردت أن يعافيك الله من هذا المرض أو هذا البلاء ؛ فليكن على لسانك دائماً وأبداً : (الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من عباده ، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا) .

وقال العلماء : ينبغي على المسلم إذا قال هذا الدعاء أن يقوله في قلبه ، وفي نفسه ، وألا يرفع صوته أمام المبتلى ، حتى لا يؤذيه ، وحتى لا يجرح مشاعره .

٦- إذا نظر في المرآة :

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٣٢) وقال : هذا حديث حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه ، وقال : وقد رُوي عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : إذا رأى صاحب بلاءٍ يتعوَّذ ، يقول ذلك في نفسه ، ولا يُسمِع صاحِبَ البلاء .

(٢) رواه الترمذي (٣٤٣١) وقال : هذا حديث غريب .

عن ابن عباس t قال : كان الرسول e إذا نظر في المرآة قال : (**الحمد لله الذي حسن خَلقي وخُلقي ، وزان مني ما شان من غيري)** [١].

ينبغي على المسلم أن يذكر ذلك ، حتى لا يأخذه الغــرور بجمالــه ولا بطوله ، ولا بسلامة وجهه ولا بغير ذلك ، وكل ذلك من عطاءِ الله ، وكل ذلك من فضل الله ، ومصير هذا الجسد، وهذا الوجه أن يكون في التراب ، وأن يأكله الدود ، فلن يبقى ولن يدوم ، فعلى ماذا يغتــر المغتــرون ؟!، فلذلك علَّمنا عليه الصلاة والسلام أن نحمد الله ، لأنه مــن الله وإلى الله ، ولهذا يقول : (الحمد لله الذي حَسَّنَ خلقي وخلقي ، وزان مني ما شان من غيري) وفي روايةٍ : (اللهم كما حسَّنت خلقي فحسِّن خلقي) وهكــذا يربط النبي عليه الصلاة والسلام بين الخُلق والخِلقة ، فإذا ما كان الإنــسان سيئ الخلق ، فنظر في المرآة ووجد أن الله أكرمه بصورةٍ طيبة ، أن يدعو الله U أن يُحسِّن خُلَقه كما حسَّن خَلْقَه سبحانه وتعالى .

٧- إذا عطس :

عن أبي هريرة t عن النبي e قال : (إذا عطس أحــدكم فليقــل : **الحمد لله** . وليقل له أخوه – أو صاحبه - : **يرحمك الله** ، فإذا قال لــه : يرحمك الله ، فليقل : **يهديكم الله ويصلح بالكم)** [٢].

---

(١) مسند أبي يعلى (٢٦١١) ، المعجم الكبير (١٠٧٦٦) .

(٢) رواه البخاري (٦٢٢٤) .

ما أجمل هذه الآداب ، وهذه الأذكار ، التي تجعل المسلم من أول يومه إلى آخره وهو ذاكر لله تبارك وتعالى .

وهذا أبونا آدم عليه السلام لما خلقه الله U عطس فقال الله له تبارك وتعالى : قل الحمد لله . فكان أول كلمةٍ تلفظ بها الحمد ؛ فعن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : (لما خلق الله آدمَ عَطَسَ ، فألهمه ربُّه أن قال: الحمد لله ، فقال له ربه: يرحَمُكَ الله ، فلذلك سبقت رحمته غضبه)[1] .

٨- عند بداية أي عمل :

عن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : **(كلُّ أَمرٍ ذي بال لا يبدأ بالحمد لله فهو أقطع)** [2]. وفي لفظ : **(كل أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه بحمد الله فهو أَقطع)** .

فهذه الأدعية وهذه الأذكار فيها من البركات والتوفيق والنجاح ما فيها ، أما مَن يبدأ أموره العظيمة وغيرها بغير بسم الله ، وبغير الحمد لله U ، فليس في عمله ذلك بركةٌ ولا توفيق والعياذ بالله U .

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٦١٦٤) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حديث حسن . وروى ابن حبان مثله كذلك (٦١٦٥) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً بإسناد قال عنه الشيخ شعيب : إسناد صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٩٤) ، وابن حبان في صحيحه (١ ، ٢) ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف .

فعلى المسلم أن يحمد الله تبارك وتعالى على كل حـــال ، فقـــد كـــان الصحابة الأجلاء رضوان الله تعالى عليهم إذا التقى الواحد منهم بـــالآخر سأل صاحبه عن حاله ، وعن حال إخوانه ، وعن حال أهلـــه ، فكـــانوا يقولون : الحمد لله رب العالمين .

فلنجعل هذه الكلمة على ألسنتنا، ولا نذكرها هكذا فقط من غير تَمَعُّن، ومن غير تَفَكُّر ؛ لا . بل علينا أن نتفكر فيها ، وأن نقولها ونحن معترفـــون بأن الفضل كله من الله تبارك وتعالى ، وأننا ينبغي علينا أن نشكره بالصلاة والصدقة والطاعات كلها ، فالحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً ، وظـــاهراً وباطناً .

# # # #

﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾

اشتقاقهما :

اسمان من أسماء الله ، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، ورحمن أشد مبالغة من رحيم قال U : { ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ } [١] وقال تعالى : { ۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ } [٢] .

وقال تعالى : { وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ } [٣] .

معناهما :

جاء في بعض الآثار التي أوردها إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله :

قال العَزْرمي: يقول { ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ } قال : الرحمن بجميع الخلق ، والرحيم ، قال : بالمؤمنين [٤] . فهو رحمنٌ بجميع خلقه ، يُغدق عليهم رزقه ومطره ، وينعم عليهم بنعمة الحواس ، وسائر النعم العامة ، وهو سبحانه

---

(١) طه : ٥ .

(٢) الأنبياء : ٨٣ .

(٣) المؤمنون : ١١٨ .

(٤) تفسير الطبري : (١/ ١٢٦ ، ١٢٧) .

رحيمٌ بأهل الإيمان ، ينعم عليهم بنعمة الإيمان والهداية لهم ، واللطف بهم ، والمعية معهم ؛ قال الله U : { وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا } [1].

والفرق بين " الرحمن " و " الرحيم " ما ذكره الإمام ابـــن جريـــر [2] - رحمه الله - حيث قال : " ... وذلك أنَّ المعنى الـــذي في تـــسمية الله بالرحمن ، دون الذي في تسميته بالرحيم ، فالتسمية بـــالرحمن موصـــوفٌ بعموم الرحمةِ جميعَ خلقه ، والتسمية بالرحيم موصوفٌ بخـــصوص الرحمـــة بعضَ خلقه ، إمَّا في كل الأحوال ، وإمَّا في بعض الأحوال " أ . هـــ .

وروى ابن جرير الطبري عن أبي سعيد قال : قال رسول الله e : (إن عيسى بن مريم u قال : "الرحمن : رحمن الآخرة والدنيا ، والـــرحيم : رحيم الآخرة ") [3].

وقال ابن المبارك : الرحمن إذ سئل أعطى ، والرحيم إذا لم يُسأل يغضب.

قال أحدهم :

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب

اختصاصهما :

والرحمن مختصٌّ بالله U ، ولا يجوز أن يُسمّى به غيره قال تعالى :

---

(١) الأحزاب : ٤٣ .

(٢) تفسير الطبري : (١/ ١٢٦ ، ١٢٧) .

(٣) تفسير الطبري : (١ / ١٢٦) .

{ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ }[(١)] ، وقال سبحانه : { ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ } ، وقال جل وعـــلا : { هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا } ، ولأجل هذا لم يُتَسَمَّ أحدٌ باسم الرحمن لاختصاصه بـــالرب جلَّ وعلا؛ ولمَّا تجرأ الشقيُ مُسيلمةُ الكذّاب ووصف نفسه بـــــ "رحمـــن اليمامة"؛ ألبسه الله جلبابَ الكذب، وصارَ الكذّاب اسماً له لا يُعرفُ إلا به، فلا يذكر أحدٌ اسمه (مُسيلمة) إلا وأتبعه بالكذَّاب ، لأنه تسمَّى باسم الله الذي لا يتسمى به أحدٌ إلا الله .

وأما الرحيم ، فقد يسمى به أحدٌ من الخلق ، لقوله تبارك وتعالى عـــن الـــــنبي e : { لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }[(٢)] .

وقال ابن عباس : { ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ } : الرقيق الرفيق بمن أحـــب أن يرحمه ، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه .

ورحمة الله تبارك وتعالى وسعت كل شيء ، كما قال U : { وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ }[(٣)] .

بل إن إسلامنا وديننا ونبينا وشريعتنا وما أنزل الله U علينا مـــن نـــور وهداية كله رحمة من الله تبارك وتعالى ، اختصر الله U ذلك كله فقـــال

---

(١) الإسراء : ١١٠ .
(٢) التوبة : ١٢٨ .
(٣) الأعراف : ١٥٦ .

سبحانه وتعالى : { وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَـٰلَمِينَ }[١] فالصلاة رحمة ، والصيام رحمة، والصدقات رحمة، وصلة الأرحام رحمة، وبر الوالدين رحمة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رحمة، وكل قربةٍ تتقرب بها إلى الله **U** هي رحمة، ونبينا عليه الصلاة والسلام كما ذكر هو عن نفسه عليه الصلاة والسلام هو الرحمة المهداة إلى خلق الله تبارك وتعالى.

عن أبي هريرة **t** قال : سمعت رسول الله **e** يقول :(**إنَّ لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدةً ، بين الجن والإنس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحوش على ولدها ، وأخَّر الله تسعاً وتسعين رحمة ، يرحم بها عباده يوم القيامة**)[٢].

فما نراه من هذه الرحمة بين الأم وابنها ، وبين البهيمة ووليدها ، وبين الناس جميعاً ، ما نراه من هذه الرحمة الموجودة في الدنيا كلها ، ما هي إلا رحمةٌ واحدةٌ فقط من مائة رحمة، وأَخَّرَ سبحانه وتعالى تسعةً وتسعين رحمةً، ادَّخَرها لعباده المؤمنين يوم القيامة ، ادَّخَرها للمؤمنين ، ولم يُبقِ لأهل النار رحمةً واحدة والعياذ بالله **U** من ذلك اليوم الرهيب العظيم .

ورحمة الله **U** بعباده واضحة وجليَّة ، ولكن ما حظنا نحن المسلمين من هذه الرحمة ؟! وما الذي طلبه الله **U** مِنَّا من هذه الرحمة ؟! وما هو الجانب

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) رواه البخاري (٦٠٠٠ ، ٦٤٦٩) ، ومسلم (٢٧٥٢ ، ٢٧٥٣ ، ٢٧٥٥) .

العملي عندما نتكلم عن الرحمة وعن الرحمن وعن الرحيم ؟ ما هو جانبنا العملي ، نحن المسلمون ، نحن أمة محمد عليه الصلاة والسلام ؟!.

نحن مطالبون بالرحمة العامة ، ومطالبون بالرحمة الخاصة .

أما الرحمة العامة : فهي رحمة المسلمين أجمعين ، بل ورحمة الكافرين أيضاً بإنقاذهم من عذاب الله U ، ورحمة البهائم ، ورحمة الجمادات ، ورحمة كل شيء .

وفي الحديث الحسن عن أبي موسى t ، أنه سمع النبي e يقول : **(لن تؤمنوا حتى تراحموا)** لن يستقر الإيمان ويكتمل في قلوبكم ، إلا بالتراحم واللين والشفقة ، أما إذا تيبست هذه المعاني وأصبحت متحجرة ، وأصبحت يابسة ، وأصبحت قاسية وشديدة ، فإن ذلك علامةً على قسوة القلب، وضعف الإيمان، والعياذ بالله U، قال : **(لن تؤمنوا حتى تراحموا)** قالوا : يا رسول الله كلنا رحيم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : **(إنه ليس برحمة أحدكم صاحِبه)** ليست هذه الرحمة التي أعنيها رحمة أحدكم بصاحبه أو قريبه أو حبيبه **(ولكنَّها رحمةُ العامَّة)** [١] لين القلب مع كل الناس من عرفت ومن لم تعرف .

وروى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله t قال : قال رسول الله e : **(من لا يرحم الناس لا يرحمه الله)** [٢] .

---

(١) قال المنذري في " الترغيب " (٣٣٣٢) : رواه الطبراني ، ورواته رواة الصحيح .

(٢) رواه البخاري (٦٠١٣) ، ومسلم (٢٣١٩) .

فالجزاء من جنس العمل، وقد قال الله سـبحانه وتعـالى: { إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[1] ، فمن كان رحيماً بخلق الله ، كان الله U رحيماً به ، وعامله بمثل عمله ، وقابله بمثل صنيعه ، ومن كان قاسياً على عبـاد الله ، ومن كان شديداً عليهم عامله الله كذلك .

ونحن في هذه الأيام وللأسف الشديد ، قلَّ فيها من يـرحم أولاده ، أو يرحم أقاربه، أو يرحم أصدقاءَه ، فضلاً عن أن يرحم الفقـير والمـسكين والضعيف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهذا مـن علامـة ضعف الإيمان ، ومن علامات خواء القلوب من مراقبة علام الغيوب سبحانه وتعالى ؛ لَّما خَلَت قلوبنا من هذه المراقبة ، أصبحت قاسـية ، فتـرى ذاك الإنسان يُصِرُّ على إخراج مَن في بيته من المستأجرين لأنه تأخر في سـداد الأجرة ؛ انتظر يا أخي قليلاً ، سامح ، أو اصبر إلى أن يُيسِّرَ الله له أمـره ، كما قال سبحانه : { وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ }[2] كيـف تريد أن يخرج هذا من بيته إلى الشارع وهو لا يملك المال ؟! هـو أخـوك المسلم ، عليك أن تدبر أمرَه وترحمه .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسـول الله e قال : (**الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم مـن في السماء**)[3] لا ترحم من في الأرض حتى يرحمك مـن في الأرض ، وإنمـا

---

(١) الطور : ١٦ ، التحريم : ٧ .
(٢) البقرة : ٢٨٠ .
(٣) رواه أبو داود (٤٩٤١) ، والترمذي (١٩٢٤) وقال : حديث حسن صحيح .

ارحم من في الأرض حتى يرحمك من في السماء ، اطلب مـــن الله U أن يرحمك برحمتك لعباد الله .

وعن أبي هريرة t قال : سمعت الصادق المـــصدوق e يقـــول : (**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**)[١] والعياذ بالله U .

فإذا رأى الإنسان من نفسه قسوةً في معاملة خلق الله ، فلـــيعلم أن فيـــه شقاوةً والعياذ بالله U ، وليجتهد أن يخلص نفسه من تلك الشقاوة ، لأن الشقاوة إذا ختم الله U حياة الإنسان عليها ؛ أصحبت شقاوةً دائمـــة لا تنتهي ولا تنقطع، ولكن مادام أنه في الدنيا باستطاعته أن يغير هذه الشقاوة، بأن يلين لعباد الله U ، ويتقيَ الله تبارك وتعالى .

وعن أبي هريرة t أن رسول الله e قال: (**كان رجل يُداينُ النـــاس، وكان يقول لفتاه: إذا أتيتَ معسراً فتجاوز عنه ، لعل الله أن يتجاوز عَنَّا، فلقي الله U ، فتجاوزَ عنه**)[٢] ، وفي روايةٍ قال الله : (**أنا أحقُ بـــذلك منك ، تجاوزوا عن عبدي**) .

فالجزاء من جنس العمل ، وقد جاء في الحـــديث : (**البِـــرُّ لا يبلـــى والذنب لا يُنسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان**)[٣] .

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٤٢) واللفظ له ، والترمذي (١٩٢٣) ، وابن حبان (٤٦٢) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه البخاري (٢٠٧٨) ، ومسلم (١٥٦٢) ، وأحمد (٤/ ١٢٠) .

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف عن أبي قلابة مرسلاً . وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٣٦٩) ، والضعيفة (١٥٧٦) .

هذه الرحمة هي الرحمة العامة ؛ الرحمة بكل شيء حتى بالبهائم ، فقد جاء عن النبي e في الحديث الحسن والأحاديث كثيرة في هذا الجانب ونكتفي بحديث واحد ، فعن أبي مسعود t قال : كنا مع رسول الله e في سفرٍ فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمَّرةً معها فرخَانِ ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحُمَّرةُ تُعَرِّش ، فجاء النبي e فقال: (**من فجع هذه بولديها ؟ رُدُّوا ولديها إليها**) ورأى قريةَ نمل قد حرقناها فقال: (**من حرق هذه ؟**) قلنا : نحن . قال : (**إنه لا ينبغي أن يُعَذِّبَ بالنار إلا رب النار**)[١] .

هذا هو إسلامنا ، وهذا هو ديننا وشرعنا ، والحمد لله رب العالمين ، كله رحمة ، وذلك فضل الله تبارك وتعالى على عباده .

أما الرحمة الخاصة : وهي أهم وأشد تأكيداً في أحاديث النبي e ، وهي رحمة الأقارب ، وما تسمى في الشرع بصلة الأرحام ، وهي في الحقيقة رحمة .

عن عبد الرحمن بن عوف t قال : سمعت رسول الله e يقول : " قال الله U: أنا الله، وأنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته - أو قال : بتتُّه " [٢] .

فمن هو صاحب هذه الرحم التي يجب علينا أن نصلها ، ومن قطعها ارتكب كبيرةً من الكبائر ؟.

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٧٥) .
(٢) رواه أبو داود (١٦٩٤) ، والترمذي (١٩٠٧) ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

قال العلماء رحمهم الله تبارك وتعالى : والرحم التي تجب صلتها : كـــل رحم من ذوي الأرحام الذين قسم الله U لهم في الميراث ، فمن قسم الله له في ميراثك من بعدك ؛ هو الذي يجب عليك أن تصل رحمه ، وزاد بعـــض العلماء : رحم الأم الخال والخالة .

وصحح ذلك الإمام النووي رحمه الله تبارك وتعـــالى في شـــرحه علـــى صحيح مسلم ، وبيَّن أن الرحم التي يجب على المسلم أن يصلها هم الـــذين يتوارثون ، أما ما عدا ذلك فهي رحم يستحب صلتها ويُكرَهُ قطيعتُها .

والمتوارثون هم :

١- جهة الأبوة : الأب والجد وإن علا .

٢- جهة الأمومة : الأم وأم الأم وإن علت ، و أم الأب وإن علـــت ، وأم أب الأب وإن علا .

٣- جهة البنوّة : الابن وابن الابن وإن نزل ، والبنت وبنت الابـــن وإن نزل أبوها .

٤- جهة الأخوة : الأخ الشقيق ، وابن الأخ الشقيق وإن نـــزل ، والأخ لأب ، وابـــن الأخ لأب ، وإن نـــزل ، والأخ لأم ، والأخت الشقيقة ، والأخت لأب ، والأخت لأم .

٥- جهة العمومة : العم الشقيق وابـــن العـــم الـــشقيق وإن نـــزل ، العم لأب ، وابن العم لأب ، وإن نزل .

٦- جهة الزوجية : الزوج ، والزوجة .

وأضاف العلماء ـــ كما ذكرنا ـــ رحم الأم وهم : الخال والخالة ، والله تبارك وتعالى أعلم وأجلُّ وأكرم .

فالواجب على المسلم أن يصل هذه الأرحام ، ولكننا نرى في هذه الأيام عجباً ؛ نرى كثيراً من الناس يصلون الأباعدَ ، ويقطعون الأقارب ، ويقولون : أرحام !؛ وهم لا يعرفون ماهي الأرحام ، ولا يعرفون ماهي الرحم التي ألزم الله U وأمر بصلتها ؛ فتجده عند أصهاره ، وهو تاركٌ لأمه وأبيه، وأخيه وأخته ، وخالته وعمته ، وغير ذلك من أقاربه الذين ألزمه الله تبارك وتعالى بصلتهم ؛ وتجده يقول أنا أصل رحمي ؟! كيف تصل رحمك ؟! لابد أن تعرف أن هناك تسلسلاً ، وأن هناك تَدَرُّجاً ، وأن هناك مراتبَ لا يمكن أن يتقدم على الأب والأم أحدٌ ، ولا يمكن أن يتقدم على الأبناء وعلى الزوجة ، وهكذا ؛ فهناك تسلسل وتدرج ؛ الأولى فالأولى ، فعلى المسلم أن يعرف هذا التدرّج ، وأن يحسنه ، وأن يراقب الله تبارك وتعالى ، ولا يستعمل هواه ، ولا يستعمل رغباته ومزاجه ، فيقدم من أحب ويترك من لا يُحب ، فإن هناك أرحاماً واجبةً هي التي ذكرناها ، لا يجوز لمسلم بحال من الأحوال أن يتخلى عنها ، أو أن يقطعها ، ومن قطعها فقد ارتكب كبيرةً من الكبائر والعياذ بالله U .

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله e : (**الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله**) [1].

وعن سعيد بن زيد عن النبي e أنه قال : (**من أربى الربا الاستطالة في عرض مسلم بغير حق وإنَّ هذه الرحم شجنةٌ[1] من الرحمن U فمن قطعها حرَّم الله عليه الجنة**) [2].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٥) .

فالرحمُ من رحمة الله تعالى ، فمن قطعها جازاه الله بأن قطع عنه الرحمة ، وهي جنة عرضها السماوات والأرض .

وعن أبي هريرة t أن رسول الله e قال :(**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**) [٣].

وعن أنس بن مالك t قال : سمعت رسول الله e يقول : (**من سرَّه أن يُبسط له في رزقه وأن يُنسأ له في أثره** ــ أي: يُمَدَّ له في عمــره ، أو يبارك له فيه ــ **فليصل رحمه**)[٤]. وفي رواية: (**ويُدفعُ عنه ميتة السوء**).

وعن أبي بكرة t أن رسول الله e قال : (**ما من ذنــب أجــدر أن يعجِّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا ، مع ما يُدَّخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**) [٥] .

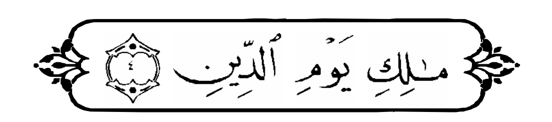
وعن جبير بن مطعم t ، أنه سمع النبي e يقول: (**لا يــدخل الجنــة قاطع**)[٦] يعني : قاطع رحم .

---

(١) شُجنة : أي : مشتبكة ، كاشتباك العروق .
(٢) رواه أحمد (١ / ١٩٠) وقال محققو المسند (١٦٥١) : إسناده صحيح . والحديث رواه كذلك أبو داود (٤٨٧٦) ، والحاكم (٤ / ١٥٧) .
(٣) رواه البخاري (٦١٣٨) ، ومسلم (٤٧) .

(٤) رواه البخاري (٢٠٦٧) ، ومسلم (٢٥٥٧)
(٥) رواه الترمذي (٢٥١١) ، وأبو داود (٤٩٠٢) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .
(٦) رواه البخاري (٥٩٨٤) ، ومسلم (٢٥٥٦) .

# # # #



ذكر الإمام الرازي في تفسيره [١] أن الله U بدأ هذه السورة بذكر الألوهية بلفظ الجلالة ، ثم ذكر الربوبية بعدها في قوله : { رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ } ، ثم ذكر : { ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ } ، ثم بعد ذلك ذكر : { مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ } وذكر أن هناك تناسباً ؛ لأن الله تبارك وتعالى أوَّل ما ذكَّرنا بأنه هو الله الخالق ، ثم ذكَّرنا بأنه هو الرب المعبود سبحانه وتعالى ، فإذا أخطأ الإنسان وسهى وغفل وأذنب فهو الرحمن الرحيم، يغفر الذنوب سبحانه وتعالى لمن تاب وأقبل عليه، ثم بعد ذلك حتى لا يغتر الإنسان برحمة الله فيعصيه؛ جاء قوله U: { مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ } فإذا كان هو { ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ } فهو مالك يوم الدين ، وهذا شبيه بقوله U { غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ }[٢] ، ولذلك جاءت هنا : { ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ } .

مالك : من الملك ، والمراد : مالك الأمر كلّه في يوم الجزاء .

---

(١) " التفسير الكبير " (١/ ٢١٦) ط. دار الكتب العلمية . وهو هنا بمعناه .

(٢) غافر : ٣ .

قال ابن عباس t : لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معه حكماً كملكهم في الدنيا . أ.هـ[١].

فالناس يملكون في هذه الحياة الدنيا أشياء كثيرة ، ولكن ملكهم مجازيـــاً محدوداً بأعمارهم ، محدوداً بأوقات معينة ، ومحـــدوداً بأمـــاكن معينـــة ، ومحدوداً بقدرةٍ معينة ، أما مُلكُ الله جل وعلا ؛ فملكه عامٌ لجميع الخلق ، ومُلكُه في كل زمانٍ وفي كل مكان ، سبحانه وتعالى ، فهو المالك الحقيقي في الدنيا والآخرة .

وليس معنى أنه مالك يوم الدين ، أنه لا يملك الدنيا ؛ لا ، وإنما المقصود أن يوم القيامة ويوم الدين لا يملك أحد معه سبحانه وتعـــالى شـــيئاً مـــن الأشياء؛ كقوله U : { لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ }[٢] ، وكقولـــه U: { ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا }[٣] فالإنسان يملك أرضاً ، ويملك سيارةً ، ويملك أشياءَ ، ولكن ملكه ملكاً ضعيفاً محدوداً ، في زمن معين ، وبقدرة معينة ، وبمكان معين ، أما الله تبارك وتعالى ، فهو المالك المطلق U .

فتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه ، وإنما أضـــيف إلى يـــوم الدين ؛ لأنه لا يدعي أحد هناك شيئاً ، ولا يتكلَّم أحد إلا بإذنـــه ، قـــال

(١) " تفسير ابن كثير " (١/ ١٥٧) ط. ابن حزم .
(٢) غافر : ١٦ .
(٣) الفرقان : ٢٦ .

عبد الله ابن عباس t : " ويوم الدين : يوم الحساب للخلائق ، وهو يوم القيامة يدينُهم بأعمالهم ، إنْ خيراً فخير ، وإنْ شراً فشر "[١] .

وناسب أن يكون الجزاء بعد ذكر الألوهية ، ثم الربوبية ، ثم الرحمة ، قال الله تعـــالى: { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ } .

ورود عبارة { يوم الدين } في القرآن :

{ يَوْمِ ٱلدِّينِ } يعني يوم الجزاء ؛ سُمِّيَ دينـــاً لأن الله U يدينـــهم بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، إلا من عفى الله تبارك وتعـــالى عنه .

وقد سمَّى الله يوم الجزاء بيوم الدين في آيات كثيرة ، وكأنه شبيهٌ بالدَّيْنِ الذي يأخذه الإنسان ثم يُسدّده بعد ذلك ؛ ومن هذه الآيات :

قال تعالى : { إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ..... }[٢] .

وقال جل وعلا : { وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ }[٣] .

---

(١) " تفسير ابن كثير " (١/ ١٥٧) .
(٢) الانفطار : ١٣ -١٧ .
(٣) الشعراء : ٨٢ .

وقال سبحانه : { وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۞ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ } (١) .

وقال جل وعلا : { يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ } (٢) .

وقال U : { ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ } (٣) .

وقال تبارك وتعالى : { وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ } (٤).

وقال سبحانه : { وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ } (٥).

وقال جل وعلا : { ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ } (٦) .

وقال سبحانه : { فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ } (٧) .

وقال تبارك وتعالى : { أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ } (٨) .

الجزاء من جنس العمل :

---

(١) الصافات : ٢٠-٢٢ .
(٢) الذاريات : ١٢-١٤ .
(٣) الواقعة : ٥١ - ٥٦ .
(٤) المعارج : ٢٦ .
(٥) المدثر : ٤٦ .
(٦) المطففين : ١١ .
(٧) التين : ٧ —٨ .
(٨) الماعون : ١-٢ .

والجزاء إنما يكون من جنس العمل ، كما ذكر ربنا تبـــارك وتعـــالى في كتابه ، وأكده نبينا **e** في سنته ، فمن عمل عملاً طيباً جازاه الله تبـــارك وتعالى بالطيب ، ومن عمل عملاً سيئاً جازاه الله تبارك وتعالى بالـــسيء ، فإنه سبحانه حكمٌ عدلٌ لا يُحبُّ الظلم ولا يرضاه .

قـــال تعـــالى : { مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ }

وقال تبارك وتعالى : { إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [1] .

وقال سبحانه : { لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ } [2] .

وقال تبارك وتعالى : { هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [3] .

وقال جل وعلا : { وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [4] .

وقال **U** : { ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [5] .

وقال سبحانه : { جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ } [6] .

وعن جابر بن عبد الله **t** قال : قال رسول الله **e** :(**برّوا آبـــائكم تبرّكم أبناؤكم ، وعفُّوا تعفُّ نساؤكم**) [1] .

---

(١) الطور : ١٦ .

(٢) إبراهيم : ٥١ .

(٣) النمل : ٩٠ .

(٤) يس : ٥٤ .

(٥) الجاثية : ٢٨ .

(٦) الواقعة : ٢٤ .

فهذه النصوص واضحةٌ في أن الجزاء من جنس العمل ، لكن الله تبـــارك وتعالى ، تفضلاً منه وتكرماً وإحساناً إلى عباده ، يجازي على الحسنة بعشر أمثالها ، بل يُضاعِفُ ما يشاءُ لمن يشاء سبحانه فهو كريم جواد ، ويجـــازي على السيئة بمثلها ، وقد يعفو ويسامح فهو سبحانه غفور رحـــيم ، قـــال ســـبحانه : { مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }[2] فلا يزاد في سيئاهم ، ولا يُنقص من حـــسناهم ؛ لكمال عدله وفضله وكرمه ورحمته سبحانه وتعالى.

روى أحمد عن جابر t مرفوعاً إلى النبي e أنه قـــال : (**يحـــشر الله العباد يوم القيامة** ــ أو قال : ــ **الناسَ عراةً غرلاً بُهماً**) قال : قلنا : وما بُهماً ؟ قال : (**ليس معهم شيءٌ ، ثم يناديهم بصوت يَسمَعُهُ منْ بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ : أنا الملك ، أنا الدَّيَّان، ولا ينبغي لأَحد من أَهل النـــار أن يدخل النارَ وله عند أحد من أهل الجنة حقٌ حتى أَقُصَّه منه، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة أن يدخلَ الجنةَ ولأحدٍ من أهل النارِ عندَه حقٌ حـــتى**

(١) رواه الحاكم (٧٣٤١) ، وهو عند الطبراني في الأوسط (١٠٠٢) من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً ؛ قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٨ / ١٣٨ ، ١٣٩) : رجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني ؛ أحمد ، فإنه غير منـــسوب ، والظاهر أنه من المكثرين من شيوخه فلذلك لم ينسبه . والله أعلم ا. هـــ .

(٢) الأنعام : ١٦٠ .

أقُصَّه منه ، حتى اللطمة) قال : قلنا : كيف ، وإنا إنما نأتي الله U عُــراة غُرلاً بُهماً ؟ قال : **(بالحسنات والسيئات)** [١] .

وروى مسلم من حديث أبي هريرة t عن النبي e قــال : **(لتــؤدَّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)**[٢] . وفي رواية : **(وحتى للذَّرة من الذَّرة)** [٣]. فكيف ببني آدم الذين كلَّفهم الله U بأحكام هذه الحياة الدنيا ؟!.

فيومُ القيامة يومٌ تسُدَّدُ فيه الديون ، ويجازى فيه كل إنــسان بعملــه ، ولذلك حقوق العباد عظيمة ، لأن الذنوب التي بينك وبين الله مبناها على المسامحة ، إن عفى الله عنك وغفر الله لك فُزتَ ونجوت ، وأما حقوق العباد فلا ؛ فليس فيها عفو من الله حتى تَرُدَّ حق الناس إليهم ، ومن أين للإنسان أن يرد حق الناس إليهم يوم القيامة ؟! وقد غادر الدنيا ؟! وهنا ينبهنا النبي e ويذكرنا بأن علينا أن نبادر في هذه الحياة الدنيا برد الحقوق لأصــحابها قبل يوم القيامة، والحذر من ظلم العباد.

عن جابر بن عبد الله t أن النبي e قال: **(اتقوا الظلم فإن الظلــم ظلمات يوم القيامة)**[٤] ، ناسب الظلم الظلمات ، لما كان الظلــم كلــه ظلمات في الدنيا ، وكله ظلام والعياذ بالله U ؛ جازى الله تبارك وتعــالى الظالم بالظلمات.

---

(١) رواه أحمد (٣ : ٤٩٥) وقال محققو المسند (١٦٠٤٢) :إسناده حسن .

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٢) ، والترمذي (٢٤٢٠) .

(٣) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٢٣ ، ٣٧٢ ، ٤١١) ولفظه : (يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجَمَّاءِ من القرناء وحتى للذرة من الذرة) وقال الحــافظ المنــذري في الترغيب (٥٢٧٨) : ورواته رواة الصحيح .

(٤) رواه مسلم (٢٥٧٨) .

وعن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : (**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عِرضه أو من شيءٍ ، فليتحلَّله منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهم ، إن كان له عملٌ صالح أُخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيئاتِ صاحبه فحُمل عليه**) [1] والعياذ بالله U .

وروى مسلم أيضاً في الذي يشرب الخمر والعياذ بالله U ، ويتعاطى المخدرات ، عن جابر بن عبد الله t قال : قال رسول الله e : (**وإنَّ على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طين الخبال**) قالوا يا رسول الله : وما طينة الخبال ؟ قال : (**عرق أهل النار ، أو : عصارة أهل النار**) [2] كما شرب مما حرمه الله عليه ، يسقيه الله U عرق أهل النار أو عصارتهم ، فالجزاء من جنس العمل .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله e : (**الرحم معلقةٌ بالعرش تقول : من وصلني ، وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله**) [3] . فإن وصلتَ الرحم يصلك الله U بجنته ، وإن قطعت الرحم يقطعك الله U في نار جهنم ، والعياذ بالله U .

وعن أنس بن مالك t قال : قال رسول الله e : (**لما عُرج بي مررت بقومٍ لهم أظفار من نُحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من**

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩) .

(٢) رواه مسلم (٢٠٠٢) .

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٥) .

هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم النـــاس ويقعــون في أعراضهم) [1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : **(رأيت الليلة رجلين أتياني** ــ إلى أن قالا ــ **وأمَّا الذي رأيته يشق شدقه فكذَّاب يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيُصنع به هكذا إلى يوم القيامة)** [2] .

وفي الحديث : **(يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثـــال الــذَّر في صُـــوَر الرجال ، يغشاهم الذل من كلِّ مكانٍ ، يساقون إلى سجنٍ في جهنم يقال له: بولس ، تصلوهم نيرُ الأنيار ، يُسقون من عصارة أهل النـــار " طينـــة الخبال ")**[3]. الجزاء من جنس العمل ؛ تكبروا في الــدنيا علـــى النـــاس ، فجعلهم الله يوم القيامة أمثال النمل ، وأمثال الذر، تطؤهم الناس بأقدامهم ، في ذلك العرض العظيم الرهيب .

وفي الحديث الصحيح قوله e : **(ما من صاحب ذهب ولا فــضة لا يؤدي منها حَقها إلا إذا كان يومُ القيامة صُفِّحَت له صفائح من نـــار ، فأُحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى جَنْبُهُ وجبينُه وظهرهُ ، كلمـــا رُدَّتْ**

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٢٤) ، وأبو داود (٤٨٧٨) ، وقال محققو المسند (١٣٣٤٠) : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه البخاري (٧٠٤٧) ، ومسلم (٢٢٧٥) .

(٣) رواه البخاري في " الأدب المفرد " (٥٥٧) ، والترمــذي (٢٤٩٢) ، وأحمـــد (٦٦٧٧) .

أُعِيدت له ، في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله ، إما إلى الجنة وإما إلى النار) [١]. الجزاء من جنس العمل.

وأما من كان عمله طيباً وصالحاً ، فقد قال سبحانه وتعالى : { مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } [٢] فيجازيه الله بالحسنى .

عن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : **(من نفَّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربةً من كُرَبِ يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه)**[٣].

وفي رواية : **(ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)** .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله e : **(... ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها ، ثبَّت الله قدميه يوم تزل الأقدام)** [٤] ؛ الجزاء من جنس العمل ؛ لأنه ذهب مع أخيه المسلم على قدميه حتى ثبت حاجته ؛ ثبت الله قدميه يوم القيامة ، يوم تزل الأقدام .

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٢) ، ومسلم (٩٧٨) واللفظ له .

(٢) الأنعام : ١٦٠ .

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٩) .

(٤) قال المنذري في " الترغيب " (٣٨٦٠) ، (٣٨٨٣) : رواه ابن أبي الدنيا ، والأصبهاني . وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٨/ ١٩١) : رواه الطبراني في الثلاثة ، وفيه مسكين بن سراج ، وهو ضعيف . ا.هـ.

وعن معاذ بن جبل t قال : سمعت رسول الله e يقـــول : قـــال الله تبارك وتعالى : **(وجبــت محــبتي للمتحــابين فيّ ، والمتجالــسين فيّ ، والمتزاورين فيّ ، والمتباذلين فيّ)** [1] .

الجزاء من جنس العمل ، لأنهم أحبوا إخوانهم في الله ، فأحبهم الله U ؛ جازاهم بمثل عملهم .

وعن أبي سعيد الخدري t قال : قال رسول الله e : **(أيما مــؤمنٍ أطعم مؤمناً على جوعٍ أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مــؤمنٍ سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختــوم ، وأيمــا مؤمن كسا مؤمناً على عُريٍ كساه الله U يوم القيامة من حلل الجنة)** [2] .

وكذلك قال e : **(أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة)** [3]؛ لأنه هــو اليتيم عليه الصلاة والسلام ، وهو أشرف الأيتام ، فمن كفل يتيماً أكرمــه الله بجوار أشرف الأيتام نبينا وحبيبنا محمد e .

فقوله تبارك وتعال : { مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ } أي : مالك يوم الجزاء ، فلا يجازي في ذلك اليوم أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه مالك (٢ / ٩٥٤) وابن حبان (٥٧٥) ، وأحمد (٥ / ٢٣٣) وقال الإمام المنذري في " الترغيب والترهيب " (٤٤٣٧) : إسناده صحيح .
(٢) رواه الترمذي (٢٤٥١) واللفظ له ، وأبو داود (١٦٨٢) ، وقـــال الترمـــذي : حديث غريب . قال المنذري في " الترغيب " (١٣٩١) : وقد روي موقوفاً على أبي سعيد ، وهو أصحُّ وأشبه ا.هـــ.
(٣) رواه البخاري (٥٣٠٤) ، ومسلم (٢٩٨٣).

من عمل حسنةً ، من عمل صالحاً ، من عمل خيراً ، من عمل طيبـــاً ، جازاه الله U بمثل عمله .

ومن عمل على خلاف ذلك ، جازاه الله بمثل عمله ، ولا يظلم ربـــك أحداً .

# # # #

السرُّ في " إياك نعبد "

قال الإمام ابن قيِّم الجوزية رحمه الله : (وسرُّ الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين ... وهما الكلمتان المقسومتان بين الربِّ وبين عبده نصفين فنصفهما له تعالى وهو : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ونصفهما لعبده وهو : { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ })[(١)].

لماذا قَدَّم : { إياك } على { نعبد } ؟

وقدّم { إِيَّاكَ } على { نَعْبُدُ } لحِكَمٍ منها :

١ - تقديماً للخالق على المخلوق ، وتقديماً للمعبود على العبد ، ولما في تقديم العبد على المعبود من الكبر ، فإذا قال العبدُ : نعبدُ إياك ، فقد قدَّم نفسه على الله تبارك وتعالى ، وفي هذا شيءٌ من اعتبار الذات ، و شيءٌ من الكبر ، والله تبارك وتعالى يعلمنا الأدب ، ويعلمنا التواضع .

٢ - أنك إذا عرفت الله سهلت عليك العبادة بعد ذلك ، أما لو عبدته على غير معرفة به U ، فتكون العبادة شاقة ، ولكن لما قلت **{ إياك }** وعرفت الله U بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ عند ذلك سهلتْ عليك عبادته سبحانه وتعالى .

---

(١) " مدارج السالكين " (١/٩٥) ط . دار الكتاب العربي .

٣- تقديم المعبود أبلغ في التوحيد من تقديم العبد ، وحتى لا يتبـــادر إلى الذهن مطلقاً إلهٌ غير الله ، فلو قيل (نعبد إياك) لسوَّل الـــشيطان للإنسان نعبد الدنيا أم الشهوات أم الشيطان أم الأصنام ، ولكن الله U قطع هذه الطريق تماماً فقال : { **إياك نعبد** } فليس هناك مجـــال للتشويش ، ولا مجال للشرك مع الله تبارك وتعالى في هذه الآية.

٤- أنه ذكر العبادة بصيغة الجمع { **نعبد** } تأكيداً على فضل الجماعة ، ولأنَّ (أعبد) فيها من الكبر ما فيها ، والمؤمن دائماً يعبد الله مـــع إخوانه المؤمنين ، ومع إخوانه المسلمين ، ولو عبد الله منفرداً في بيته مع نفسه ، فهو إنما يعبد الله مع الملائكة ، ومع مخلوقات الله التي لا تحصى ولا تعد، فهو على كل حال سواءاً كان منفرداً أو مع جماعة؛ فهو كما أخـــبر ســـبحانه : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } والسماء ممتلئة بالملائكة ـــ كما صح عن النبي e ـــ : (**مافيهـــا موضع قدم إلا فيه ملكٌ واضعٌ جبهته ســـاجداً لله تعـــالى**) [١]، السماء أطت وحق لها أن تئط من كثرة ما عليها من الملائكة ؛ فأنت عندما تعبد الله لا تعبده وحدك ، وليست الملائكة فقط هي التي تعبد الله ، بل الشجر والحجر وكل شيء ؛ كما قال جل وعلا : { وَإِن

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٢) ، وابن ماجـــه (٤١٩٠) ، وأحمـــد (٥ / ١٧٣) ، والحاكم (٤ / ٥٤٤) من حديث أبي ذر t مرفوعاً . والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي . وقال الترمذي : حديث حسن .

مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ }[1]، وكما قال سبحانه : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ }[2] وليس أحد إلا العاصي والكافر هو الذي شـــذ عن هذه العبادة التي يعبدها جميع خلائق الله تبارك وتعالى .

٥- { وَإِيَّاكَ }، شفاءٌ من الرياء بالإخلاص ، ففيها من الإخلاص ، وفيها من التوجه لله U والقصد ، فالله U لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم ، فقال { **إياك** } وحدك لا شريك لك نعبدك ، فهو تدريب لنا على الإخلاص ، فمهما كانت الأعمـــال عظيمةً وخلت من الإخلاص لله U ، وابتغـــاء وجهـــه الكـــريم ؛ أصبحت جوفاء ليس لها قيمة والعياذ بالله U من ذلك .

معنى العبادة :

(**والعبادة** : تجمع أصلين : غاية الحب وغاية الذُّل والخضوع ، والعرب تقول : طريقٌ معبّدٌ أي: مذلل ، فمن أحببتَه ولم تكن له خاضـــعاً، لم تكن عابداً له ، ومن خضعت له بلا محبة ، لم تكن عابداً له ، حتى تكـــون

(١) الإسراء : ٤٤ .
(٢) النور : ٤١ .

محباً خاضعاً)[1] ، وليس ذلك إلا لله تبارك وتعالى وحده؛ كما جاء في قوله تعالى: { وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ } [2] .

والعبادة هي التي خلق الله الخلق لها؛ لقول الله تعالى: { وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ } [3] .

وهي التي من أجلها أرسل الله الرسل ، كما قال تعالى : { وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ } [4] .

وقوله جل وعلا : { وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ } [5] .

وهي التي أمر الله بها رُسُلَه حتى الموت ، كما ذكر في كتابه العزيز : { وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ } [6] ، وفي الآية دلالة على أن العبادة ليس لها سن معين ، ولا مكان محدد ، وإنما هي في كل زمان وكل مكان .

ولست أنت وحدك الذي تعبده ، بل هناك خلائق كثيرة يعبدونه معك ؛ كما في قول الله تبارك وتعالى : { وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ } [1] .

---

(١) بتصرف من " المدارج " (١ / ٩٥ ، ٩٦) .
(٢) البينة : ٥ .
(٣) الذاريات : ٥٦ .
(٤) النحل : ٣٦ .
(٥) الأنبياء : ٢٥ .
(٦) الحجر : ٩٩ .

وعبادُه الذين اختصهم الله بتلك العبودية ؛ ليس للشيطان عليهم سلطان، ولا سبيلٌ ولا مدخل ، لقوله سبحانه تعالى : { إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ } [٢] ، ولقوله U : { قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ } [٣] .

والعبودية أول كلمةٍ لفظها نبيُّ الله عيسى u وهو في المهد ؛ لقوله تعالى: { فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا } [٤] .

ولذلك قال e – كما في حديث ابن عمر -: **(أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن)** [٥] .

وهي أول طلب طلبه الله من موسى u عندما كلَّمه في الطور ، قال تعالى : { إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ } [٦] .

---

(١) الأنبياء : ١٩ ، ٢٠ .

(٢) الحجر : ٤٢ .
(٣) الحجر : ٣٩-٤٠ .
(٤) مريم : ٣٠ .
(٥) رواه مسلم (٢١٣٢)، وأبو داود (٤٩٤٩)، والترمذي (٢٨٣٣)، وابن ماجه (٣٧٢٨).
(٦) طه : ١٤ .

وهي من أعلى المراتب عند الله تعالى يوم القيامة ، لقوله سبحانه : { إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا } [1] .

شروط التحقق بـــ " إياك نعبد " :

ذكر الإمام ابن قيّم الجوزية رحمه الله : أن العبد لا يكون متحققاً بـــــ { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } إلا بأصلين عظيمين :

أحدهما : متابعة الرسول e ، والسير على نهجه وسنته وطريقته e ، وترك الابتداع في الدين، وترك الإنشاء والاختراع في دين الله تبارك وتعالى، والاكتفاء بما جاء عن النبي e ، فإنما نحن متبعون ولسنا مبتدعين .

والثاني : الإخلاص للمعبود ؛ فهذا تحقيق { إِيَّاكَ نَعْبُدُ }، أن تخلص في نيتك وقصدك ، في أعمالك وعبادتك لله U ، لا مراءاةً للنـــاس ، ولا طلباً للجاه ، ولا رغبةً فيما عند الناس ، وإنما طلباً لوجهه الكريم .

فإن وجدت في قلبك والعياذ بالله U شيئاً غير الله تعالى ، فقد عَلَّمنـــا النبي e أن نقول : (**اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمـــه**

---

(١) الإنسان : ٦ .

ونستغفرك لما لا نعلمه)[١] إن قلت هذا الدعاء فقد برئت بـــإذن الله U من الشرك كبيره وصغيره .

والناس مُنقسمون بحسب هذين الأصلين إلى أربعة أحزاب :

الحزب الأول : أهل الإخلاص للمعبود ، والمتابعة للرسول e ، وهم أهل { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } حقيقةً .

الحزب الثاني : من لا إخلاص له ولا متابعة ، وهؤلاء خرجوا بالكليـــة عن هذه الآية { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } فليس لهم فيها نصيب .

الحزب الثالث : من هو مخلص في أعماله ، لكنها على غير متابعة الـــنبي e ، وهذا ضلَّ الطريق .

الحزب الرابع : من أعماله على متابعة النبي e ، لكنها لغير الله وهـــذا هو المنافق والمرائي[٢] .

والعبودية خاصة وعامة :

فالعبودية العامة : " عبودية القهر والملك " كقوله تعالى :{ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ

(١) رواه أحمد (٤ / ٤٠٣) من حديث أبي موسى الأشعري t مرفوعاً ولفظه : (يا أيها الناس ! إتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل) فقال له مَن شـــاء الله أن يقول : كيف نتقيه يا رسول الله وهو أخفى من دبيب النمل ؟ قال : (قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نُشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلم) . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١٠ / ٢٢٣) : رواه أحمد والطبراني في الكـــبير والأوســـط ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ، ووثقه ابن حبان. ا.هـــ.

(٢) انظر مدارج السالكين (١/١٠٤ - ١٠٦) وهو هنا بتصرف .

ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا } [١] ، ومثل قول الله تعالى: { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ } [٢] .

وأما العبودية الخاصة : فهي " عبودية الطاعة والمحبة " كقوله تعالى :

{ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ } [٣] ، وكقوله تعالى : { فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ } [٤] ، وكقوله سبحانه أيضاً : { وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا } [٥].

وقد فَصَّل الإمام ابن قيِّم الجوزية - رحمه الله - في كتاب " مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين " ، ما يقارب من سبعين مترلاً من هذه المنازل العظيمة ، وذكر أنَّ من العلماء من عَدَّها ألف مترلة ، وبيَّن في كتابه قواعد العبودية ومراتبها ومنازلها .

وصف الرسول e بالعبودية في القرآن :

ومن أعظم من وُصِفَ بالعبودية رسولنا محمد e ، فقد وصفه الله بها في أعظم أحواله ، ومن ذلك :

---

(١) مريم : ٩٣ – ٩٥ .
(٢) الفرقان : ١٧ .
(٣) الزخرف : ٦٨ .
(٤) الزمر : ١٧ ، ١٨ .
(٥) الفرقان : ٦٣ .

١ - في الإسراء ، قال جل وعلا : { سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا } (١) .

٢ - في الوحي ، قال جـل وعـلا : { فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ } (٢)، وقال سبحانه : { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ } (٣) . وقال تبارك وتعالى: {تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا} (٤) .

٣ - في الدعوة ، قال سبحانه : { وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا } (٥) .

٤ - في التحدي ، قال تعالى : { وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ } (٦) .

٥ - في النصر ، قال جل وعلا : { وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ } (٧) .

---

(١) الإسراء : ١ .
(٢) النجم : ١٠ .
(٣) الكهف : ١ .
(٤) الفرقان : ١ .

(٥) الجن : ١٩.
(٦) البقرة : ٢٣ .
(٧) الأنفال : ٤١ .

فهذه مقاماتٌ عالية شريفة ، ومع هذا وصفه ربه بالعبودية ، وذلــك أن العبودية من أشرف المنازل وأعظمها وأعلاها .

وصف رسول الله e نفسه بالعبودية :

روى الطبراني بإسناد حسن - كما قال المنذري في الترغيب - عن ابــن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله e ذات يوم وجبريل عليــه السلام على الصفا ، فقال رسول الله e : **(يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآلِ مُحمد سفّةٌ من دقيق ولا كَفٌّ من سَويق)** فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هَدَّةً من السماء أَفْزَعَتْهُ ، فقال رسول الله e : **(أمــر اللهُ القيامةَ أن تقوم ؟)** ، فقال جبريل u : لا، ولكنْ أمر إسرافيلَ فنَزل إليك حين سمع كلامك، فأتاه إسرافيل فقال : إنَّ الله تعالى سمع ما ذكرت ، فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض ، وأمرني أن أعرض عليك : أُسيِّرَ معك جبالَ تِهَامَةَ زُمُرُّداً وياقوتاً وذهباً وفضةً ، فإن شئت نبياً مَلكاً ، وإن شئت نبياً عبداً، فأومأ إليه جبريل أن تواضع، فقال e : **(بل نبياً عبداً)** ثلاثاً[1].

وجاء في الصحيح عن عمر بن الخطاب t قال : قال رسول الله e : **(لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عبد الله ورسوله)** [2] .

---

(١) رواه الطبراني (٦٩٣٧) ، والبيهقي (٤٤٧) في الزهد .
(٢) رواه البخاري (٦٨٣٠) .

وفي صحيح مسلم : قوله e في بيان ما نقوله بعد الأذان : (**...ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة**) [١] .

وكان يقول e : (**إني أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد**) [٢] .

من ثمراتِ العبودية :

روى البخاري من حديث أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : (إنَّ الله تعالى يقول : (**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه**) [٣] .

وروى الحاكم عن معقل بن يسارٍ t ، عن النبي e أنه قال : (**يقول ربكم : يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأملأ يديك رزقاً**)[٤]

---

(١) رواه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٢) مسند أبي يعلى (٤٩٢٠) .

(٣) رواه البخاري (٦٥٠٢) .

(٤) رواه الحاكم (٤/٣٢٦) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

وفي رواية : (**أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإلا تفعل ملأتُ صـــدْرَك شُغْلاً ولم أسد فقرك**) [1].

وروى البخاري عن أبي هريرة t عن رسول الله e قال : (**تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إنْ أُعطيَ رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**) [2] .

# # # #

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٧) ، والترمذي (٢٤٦٦) ، واللفظ له وقـــال : حـــديث حسن ، ورواه الحاكم (٤٤٣/٢) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

(٢) رواه البخاري (٢٨٨٧) .

﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

ذكر الله جل وعلا الاستعانة في قوله : { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ، بعد العبادة { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ؛ لأن العبادة هي الأصل ، والاستعانة تأتي تابعة لها بعد ذلك .

ورودها في القرآن على لسان الأنبياء :

قالها موسى u ، كما في قوله U : { قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }(1)

وقالها أيوب u ، كما في قوله تعالى : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ } (2) .

وقالها حبيبنا المصطفى e ، كما في قوله تعالى: { قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ } (3) .

أنفع الدعاء :

قال ابن عباس t : { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } على طاعتك ، وعلى أمورنا كلها .

---

(1) الأعراف : ١٢٨ .

(2) يوسف : ١٨ .

(3) الأنبياء : ١١٢ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : تأمَّلت أنفعَ الدعاء ؛ فـإذا هـو سؤال العون على مرضاته ، ثم رأيته في الفاتحـة في : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } .

وقال ابن القيم رحمه الله : فأنفع الدعاء طلب العون علـى مرضـاته ، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب ، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا ، وهو الذي علَّمه النبي e لِحبِّه معاذ بن جبل t ، فقال e : يـا معاذ والله إني لأحبك ، فقال : أوصيك يا معاذُ لا تدعنَّ في دُبرِ كل صلاة تقول : (**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**) [(١)] .

وعن ابن عباس t قال : كنت خلف النبي e يوماً فقال لي : يا غلام إني أُعلمك كلمات : (**احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهـك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**) فاستعن بالله ؛ لأن هنـاك كثيراً من الناس وللأسف الشديد إذا أصيب بمصيبةٍ أو بلية أو احتاج إلى أمرٍ ما ، هَرَعَ إلى الناس ، ونسي رب الناس سبحانه وتعالى ، لا بأس بالاستعانة بالناس ، وطلب العون منهم والمساعدة ، ولكن بعد الاعتمـاد ، وطلـب الاستعانة من الله تبارك وتعالى (**واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعـت علـى أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك**) مهما ذهبت أو طلبت من هذا أو من ذاك ، إذا لم يكن الله U قد كتبه لك ، فلن تحـصل عليه ، إذاً فمن الذي تقصده أولاً ؟ إنه الله جل جلاله . (**وإن اجتمعـوا**

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢٢) ، وابن حبان (٢٠٢١) .

على أن يضرُّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلامُ وجَفَّتِ الصُحُف) [1] وجفّت الصحف بمعنى أن الأقلام قد كتبت في اللوح المحفوظ ما هو كائن وما كان وما سيكون إلى يوم القيامة ، وارتفعت تلك الأقلام ، وجفت تلك الصحف ، فما هو حادث في هذه الأرض إنما هو بعلمه سبحانه وتعالى وتقديره .

وعن أبي هريرة t قال : قال الرسول e : **(المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خير ، احرص على ماينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز)** إذاً المسلم مطالب بأن يكون ذا همةٍ عالية ، وذا نفسٍ قوية شجاعة ، وذا نفسٍ طموحة ولكن مع هذا الطموح ، ومع هذه النفس العالية ، ينبغي أن تكون هناك استعانة بالله ، لأنه مهما عظم الإنسان فهو تحت قدرة الله ، ومهما كبر الإنسان فهو محتاج إلى الله ، فلا بد وأن يستعين بالله U **(وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل ، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان)** [2] انظر إلى هذا الحديث العجيب ؛ يقوي النبيُّ e نفسية المؤمن حتى لا ينهزم أمام الصعاب وأمام المصائب والبلايا والتي هي من طبيعة الحياة البشرية ، فلا يمكن أن تكون حياة بشرية من غير تمحيص ومن غير اختبار ومن غير ابتلاء ، ولكن المسلم المؤمن القوي ، الذي يتحمل هذه الصعاب ،

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤) .

ويستقبلها بنفسيَّة مؤمنة عالمة بحقيقة هذه الحياة ، فهو دائماً يستقبلها ببشرٍ وبهدوءٍ ، وبحكمةٍ وطُمَأْنينةٍ ، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن ولا يعجز .

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز قال : لا تستعن بغير الله ، فيكلك الله إليه .

ومن كلام بعض السلف : يا ربِّ عجبتُ لمن يعرفك كيف يرجو غيرك، وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك ؟!

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : وأما الاستعانة بالله U دون غيره من الخلق، فلأنَّ العبدَ عاجز عن جلب مصالحه ودفع مَضَارِّه ، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله U ، فمن أعانه الله فهو المعان ، ومن خذله الله فهو المخذول ، وهذا تحقيق معنى قول : " **لا حول ولا قوة إلا بالله** " ومعناها : لا يحوّل عن المعصية ، ويقوي على الطاعة إلا الله ، وهي كلمة عظيمة [١].

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، معنى هذه الكلمات : تحقيق الاستعانة الكاملة بالله U ، ومن كانت هذه الكلمة على لسانه دائماً وهو موقن بها ، فهو المستعين بالله U حقًّاً ؛ وهذا هو الفوز المبين ، وهذه هي الاستعانة بالله تبارك وتعالى ، الاستعانة به في ترك الذنوب ، فهو الذي يعينك على التحول من المعصية إلى الطاعة ، ومن الذنب والإثم إلى العبادة

---

(١) " جامع العلوم والحكم " (٤٨١/١) بتصرف .

والثواب ؛ ولا يتقوى إنسان على صلاة ، ولا على عبادةٍ إلا بتقوية الله سبحانه وتعالى له ، وإعانته له .

ما أعظم هذا الإله الكريم سبحانه وتعالى ؟! فهو الذي يهديك إلى الصلاة ، وهو الذي يقويك على الصلاة ، وهو الذي يعينك على الصلاة ، فأنت في نعمائه تتقلب ، ليس لك جهد يذكر في خيره وفضله عليك سبحانه وتعالى، فهو الذي اختارك، وهو الذي أعانك، فهو المستحق للحمد أولاً وآخراً ، ودائماً وأبداً ، سبحانه وتعالى ، له الحمد مِلءَ السماوات ، ومِلءَ الأرض ، ومِلءَ ما بينهما ، ومِلءَ ما شاء ربي من شيء بعد.

وكلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) كلمة عظيمة، وكتر من كنوز الجنة.

روى البخاري ومسلم أنَّ النبي e قال لأبي موسى الأشعري t : **(قل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كتر من كنوز الجنة)** (١) .

وروى الإمام أحمد أنَّ رسول الله e قال لمعاذ بن جبل t : **(ألا أدلُّك على باب من أبواب الجنة)** قال : وما هو ؟ قال : **(لا حول ولا قوة إلا بالله)** (٢) .

وفي رواية أنَّ النبي e قال لأبي هريرة : **(أَكثِرْ من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كتر من كنوز الجنة)** (٣) .

---

(١) رواه البخاري (٦٣٨٤) ، ومسلم (٢٧٠٤) ، وأبو داود (١٥٢٦) وغيرهم .

(٢) رواه الإمام أحمد (٣ / ٤٢٢) وقال المنذري : وإسناده صحيح إن شاء الله .

(٣) رواه الترمذي (٣٦٠١) وقال : هذا حديث إسناده ليس بمتصل . مكحول لم يسمع من أبي هريرة .

وروى الحاكم عن أبي هريرة t قال : قال لي رســول الله e : (**ألا أُعلمك ، أو ألا أدلُّك على كلمةٍ من تحتِ العرش من كنزِ الجنة ؟ تقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فيقول الله: أسلَم عبدي واستسلَم**) [١] لأنــه استعان بالله U ، ولم يستعن بأحدٍ سواه .

وروى الإمام أحمد عن أبي أيوب الأنصاري t ، أنَّ رسول الله e ليلة أُسريَ به ، مرَّ على إبراهيم u فقال : من معك يا جبريل ؟ فقال : هذا محمد e . فقال له إبراهيم u : يا محمد ، مُر أُمتك فليكثروا من غراس الجنة ، فإن تربتها طيبة ، وأرضها واسعة . قال : وما غراس الجنة ؟ قال : (**لا حول ولا قوة إلا بالله**) [٢].

قال مكحول : من قال : " **لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا ملجأَ من الله إلا إليه** " ، كَشَفَ عنه سبعين باباً من الضُرِّ أدناهنَّ الفقر .

ومن الاستعانة بالله :

الاستعانة بالصبر والــصلاة ؛ كمــا في قولــه U : { وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ } [٣] . وقولــه تعــالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [١] .

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٥١٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه هكذا، ووافقه الذهبي .

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ٤١٨) وقال المنذري في " الترغيب " (٢٣٤٩) : إســناده حسن ، ورواه ابن حبان (٨١٨) .

(٣) البقرة : ٤٥ .

وعون العبد المسلم لأخيه على طاعة الله ، قـــال الله تبـــارك وتعـــالى : { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ } [٢] .

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة t قال : قـــال رســـول الله e : **(والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)** [٣] .

# # # #

---

(١) البقرة : ١٥٣ .

(٢) المائدة : ٢ .

(٣) رواه الإمام أحمد (٢ / ٢٧٤) وقال محققو المسند (٧٧٠١) : حديث صحيح .

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾

الكلام عن الهداية :

قوله تعالى : { ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ } جاء طلب الهداية بصيغة الجمع { ٱهۡدِنَا } ؛ لأن القبول من الجماعة أولى وأحب عند الله تبارك وتعـــالى ، فعندما يكون الإنسان في جماعة ويدعو الله تبارك وتعالى بلسان الجماعـــة : { ٱهۡدِنَا } فإنه أجدر وأولى بقبول هذا الدعاء إن شاء الله تبارك وتعالى.

وقد جاء في حديث النبي e : (**فـــإذا قـــرأ العبـــد** { ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ } **قال الله تبارك وتعالى : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**) فهو دعاء مستجاب بإذن الله U ، ولكن على المسلم أن يخلص نيته لله تبارك وتعالى .

معنى الهداية : الهداية ـــ كما ذكر العلماء رحمهم الله تبارك وتعالى ـــ لها معانٍ عدَّة في القرآن العظيم ، وأول معنى من معان الهداية :

التوفيق : توفيق الله U لهذا العبد من عباده سبحانه بالهدايـــة ، فهـــذا التوفيق يختص به الله U ، ولا يشاركه فيه أحد ، فهو الهـــادي ســـبحانه وتعالى: { وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا }[1] فالله تبارك وتعالى هـــو الـــذي اختص بهذه الهداية ، هداية التوفيق والاختيار .

---

(١) الفرقان: ٣١ .

وهداية التوفيق على نوعين : عامة ، وخاصة.

أما العامة : فهي هداية الخلق لما ينفعهم ، ولما يصلح شؤونهم ؛ هدايتهم لمعايشهم، وأرزاقهم، وطريقة حياقم ، وكل ما كتبه الله تبارك وتعالى لهم ، وهذه جاءت في قولـــه U: { قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ }[1] خلق ثم هدى ذلك الخلق ، وقـــال U { سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ }[2] فهـــو الـــذي هـــدى الكائنات كلها إلى ما يصلح أحوالهم في هذه الحياة الدنيا ، والمتأمل في هذا الكون يجد عجباً ، فذاك ثعبان البحر ، وثعبان الماء إذا أراد أن يتوالـــد وأن يتكاثر، يتجمع من أنهار الدنيا ، ومن برك الدنيا ، وبحيرات الدنيا وبحارها ، إلى منطقةٍ في جنوب برمودا ، يتجمع هناك ، ثم تضع الأمهـــات البـــيض وتموت ، ثم يفقس ذلك البيض ، ويعود كل ثعبان من تلـــك الثعـــابين إلى المكان الذي خرجت منه أمه ، بهدايةٍ من الله سبحانه وتعالى ، يقطع آلاف الأميال في المحيطات وفي البحار حتى يعود إلى المكان الذي جاءت منه أمه ، مَن الذي هداه ؟! إنه الله سبحانه وتعالى.

وهذا حيوان من الحيوانات إذا أراد أن تضع أمهاته البيض تمـــوت بعـــد البيض مباشرةً ، فإذا بها تأتي إلى قطع الخشب وتحفر فيه حفرةً مـــستطيلة ، ثم تجعل في تلك الحفرة من الخشب بعض الأطعمة من الأوراق الـــسكرية ،

---

(١) طه : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) الأعلى : ١ – ٣ .

وبعض طلع الأشجار ، وتكبسه في ذلك المكان ، ثم تضع بجـــواره بيـــضةً واحدة ، ثم تغلق عليه بغطاءٍ ، ثم تموت بعد أن تضع بيضتين وثلاثاً وأربعاً ، ثم يخرج هذا الحيوان الصغير من تلك البيضة ، ويعيش على هذا الطعام سنةً كاملة ، وهو يتغذى عليه، فمن الذي علَّم هذه ؟! ومن الذي هــداها لأن تجمع طعاماً لسنة ؟! وكيف كفى السنة ؟! إنه الله تبارك وتعالى.

ومن الذي علَّم الجراد الذي يمكث في شقوقه في بعض الأمـــاكن ســـبع عشرة سنة متتابعة متتالية، ويظهر بعد مرور سبع عشرة سنة في وقته المحدَّد ، وفي يومه المحدَّد، وفي تاريخه المحدَّد ، يظهر بمئات الملايين ، فمن الذي عَرَّفه وعلَّمه موعده وتاريخه ؟! إنه الله سبحانه وتعالى ، هو الذي هَـــدَاه { قَدَّرَ فَهَدَىٰ } .

وهناك أيضاً : الحيوانات المنوية التي تخرج من الذكر ، وكيـــف تُلقـــح بويضة الأنثى بطريقة فيها الهداية العجيبة ، تخرج الملايين الملايين ولا تتلقح من هذه الملايين إلا واحدة ، هي التي حملت الصفات الوراثية للأب وللأم ، يختارها الله ويهديها الله سبحانه وتعالى ، فتنقسم انقسامات متتالية متتابعـــة عظيمة وكبيرة جداً ، حتى يتطور هذا الإنسان من طورٍ إلى طورٍ ، علقـــة فمضغة فعظام ، { فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا }[1]، فإذا به إنسان كاملُ الخلـــق جميل المنظر !! من الذي هداه ؟! إنه الله سبحانه وتعالى.

---

(١) المؤمنون : ١٤ .

جاء عالم أمريكي يريد أن يُفرِّخ بيضَ الدجاجة بالأجهزة الحديثة فقال له أحد الفلاحين: عليك أن تقلب البيض بين كل فترة وأخرى، قال: ولماذا ؟! قال : لأني رأيت الدجاج تفعل ذلك. قال: الدجاجة تفعل ذلك حتى تجعل مستوى الحرارة في كل مكان من أماكنها وجوانبها ، أما أنا فأضع الجهاز ، وهو يضبط الحرارة من كل جوانبها. فوضع الجهاز ، ووضع البيض ، وجاء وقت التفقيس و لم تفقس البيضة، وكرر مرةً ثانية وثالثة و لم تفقس البيضة ، فلما استمع إلى نصيحة الفلاح ، أو بالأحرى إلى تقليد الدجاجة، وقلَّب البيض ، فإذا بها تفقس ، فمن الذي هدى الدجاجة إلى أن تقلب البيض ؟! فلولا هذا التقليب الذي يتوازن ، وتتوازن فيه الكائنات والمكونات التي خلقها الله في هذه البيضة ، لولا هذا التقليب لما فقست تلك البيضة ، فمن الذي هدى الدجاجة ؟! إنه الله سبحانه وتعالى. وهو الذي هدى الطيور ، وهو الذي هدى الأسماك.

فهذه الهداية هي هداية عامة ، وهي هداية الله سبحانه وتعالى الخلقَ لما فيه صلاحهم ومعاشهم.

وأما الهداية الخاصة : فهي الهداية إلى الحق ، إلى الدين ، إلى الإسلام والإيمان ، وهي بيد الله U أيضاً ، لا يشاركه فيها أحدٌ ، قال U : { قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }(١)، وقال U لنبيه e : { قُلْ إِنَّنِي

(١) يونس : ٣٥ .

هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ }[1] وقال U لحبيبه محمد e : { إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۚ }[2] .

وقال U: { مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ }[3].

وقال تعالى: { قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[4].

وقال سبحانه : { وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[5] .

وقال تعالى: { فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ }[6] .

فهذه الهداية بيد الله U وحده ، وهنا نقف وقفةً مهمةً ، وهي أن المراد بهذه الآيات : { فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ } يعني بعلمه ؛ كما قال U: {وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ }[7] فهذا علم الله U ؛ كما يقول المدرس في فصله : أن هذا الطالب الفلاني راسب في مادته ودرسه ، فهل نقول : أن هذا المدرس يعلم الغيب ، فإذا جاء الامتحان ورسب الطالب نقول : المدرس يعلم الغيب !! لا ولكن

(١) الأنعام : ١٦١ .

(٢) القصص : ٥٦ .

(٣) الأعراف : ١٧٨ .

(٤) البقرة : ١٤٢ .

(٥) الحج : ٥٤ .

(٦) إبراهيم : ٤ .

(٧) الأنفال : ٢٣ .

المدرس بخبرته وبمعرفته بهذا الطالب أنه لا يذاكر ولا يجتهد ودائم اللعب ... إلخ قال: إنه لن ينجح. فهذا ليس علماً بالغيب، وإنما خبرةٌ ودراية. ولله المثل الأعلى ؛ فالله U هو الذي خلق الخلق ، وهو أخبرُ بهم سبحانه وتعـــالى ، بل هو بكل شيء محيط، يعرف حديث الإنسان مع نفسه ، يعرف ماضيه ، ويعرف مستقبله ، ويعرف ماذا سيكون حاله ، فالله U علم أن فلاناً مـــن الناس سيكون من أهل الشقاوة والعياذ بالله U ، فقال: هو شقيٌ ـــ بعلمه سبحانه وتعالى ـــ ، وذاك الذي سلك طريق الهداية ، قال الله U : إنه من أهل الهداية أيضاً بعلمه سبحانه ، لأن الله يعلم أنه سيسلك طريق الهداية.

فعلى المسلم أن يطلب هذه الهداية من الله تبارك وتعالى .

من أسباب الهداية :

ما هي الصفات التي تؤهلنا لنكون من المهتدين ؟

قبل أن يقول الواحد لأخيه : ادع الله لي بالهداية ؛ أولاً عليه أن يـــسلك طريق المهتدين ، فما هي الصفات التي تجعلنا من المهتدين ؟

أول هذه الصفات: الإيمان بالله تبارك وتعالى ، أن تُصدِّق تصديقاً جازماً ليس فيه شك بوجود الله U وأنه هو الخالق الرازق أنه هو المبـــدع ، وأن تؤمن بكل أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى ، وأن تعبده حق عبادته قال U : { وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ }[1]، وقال تعـــالى: { إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

(١) التغابن : ١١ .

ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ }[1] فبقدر معرفتك بالله ، بقدر ما تكـــون الهداية في قلبك .

ومن هذه الصفات أيضاً: المجاهدة للنفس ، أولاً: بترك المحرمـــات ، ولا يمكن أن تترك المعصية هكذا بسهولة ، ولكن لابد مـــن التعـــب والجهـــد والمشقة حتى تصرف نفسك الأمَّارة بالسوء عن تلك المعاصي ، وكـــذلك لابُدَّ من المجاهدة حتى تُطِيعَ الله U وتؤدِّي الفرائض ، هل يظن إنسان أنـــه إذا جاء إلى المسجد أن هذا لا يحتاج إلى مجاهدة ، بلى يحتاج إلى مجاهـــدة ، يحتاج إلى بعد عن المغريات ، يحتاج إلى قوة إيمانية حتى يخرج ويترك الدنيا ، ويأتي إلى بيت الله U ، فيصلي بين يدي الله تبارك وتعـــالى ، قـــال U: { وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ }[2] أما أن لا تتعـــب ولا تجاهـــد ولا تبذل وتطلب من الله أن يهديك !!، فليس ذلك بطريق صـــحيح للهدايـــة أبداً، بل عليك إذا أردت الهداية أن تسلك طريقها ، وتجاهد نفسك في ترك المحرمات، وفي فعل الطاعات، حتى يهديك الله تبارك وتعالى.

ومن الصفات التي تقودك إلى الهداية: الـــصبر والـــيقين ، قـــال U: { وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ }[3] لما جمعوا بين الصبر واليقين أكرمهم الله U بالهداية ، أكرمهم بـــأن جعلـــهم هادين مهديين ، فإذا أردت طريق الهداية فعليك بالصبر ، وعدم الجـــزع ،

---

(١) يونس : ٩ .

(٢) العنكبوت : ٦٩ .

(٣) السجدة : ٢٤ .

وعدم السخط مما أصابك من مصيبةٍ أو من بليةٍ ، أو من أمـــرٍ صـــعبٍ لا تتحمله نفسك ، عليك بالصبر ، فهذا الصبر يكون سبباً لهداية الله U لك إن شاء الله.

ومنها أيضاً: الاعتصام بحبل الله U ، قال تعالى: { وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[1] تعتصم ؛ تتمسك وتثبـــت في المحافظـــة علـــى الصلوات والطاعات والعبادات.

ومنها أيضاً: طاعة الرسول ﷺ واتباع سنته واتباع هديه ، قـــال U : { قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ }[2].

ومنها: خـــشية الله U ، قـــال U: { فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }[3] .

فهذه بعض الصفات ، إن اتصف بها المسلم ، وجاهد واجتهد فيها، وفَّقَه الله U واختاره لهذه الهداية ، لأن الهداية اختيار واصطفاء واجتباء مـــن الله تبارك وتعالى ، والثبات عليها أصعب منها ، ولذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يُكثر أن يقول: **(يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**[4].

---

(١) آل عمران : ١٠١ .

(٢) النور : ٥٤ .

(٣) البقرة : ١٥٠ .

(٤) رواه الترمذي (٢١٤١) وقال : حديث حسن صحيح .

ومن ابتعد عن هدى الله فقد اقترب من الهوى ، والفرق بـــين الهـــوى والهدى حرف واحد !!.

قال U : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ }[(١)] بمعنى: من سلك طريق هدى الله تبارك وتعالى فقد ابتعد عن الهوى ، ومن ابتعـــد عن الهدى فقد وقع في الهوى ، والعياذ بالله U .

المحرومون من الهداية :

أما الذي حرمه الله تبارك وتعالى من الهداية والعياذ بالله U ، فهو مـــن اتصف بصفاتٍ منها :

الكفر ـــ والعياذ بالله U ـــ ؛ قال تبارك وتعـــالى : { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ }[(٢)].

ومنها : الظلم ؛ قـــال U : { وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ }[(٣)]، لا يمكن أن يسلك إنسانٌ ظالمٌ طريقَ الهداية ، ويهديه الله تعالى طالما أنه مستمرٌ على ظلمه متمسكٌ بــه ؛ وقـــال U : { إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) القصص : ٥٠ .

(٢) المائدة : ٦٧ .

(٣) المائدة : ٥١ .

كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا } [(١)].

ومنها: الفسق ؛ والفسق هو الخروج عن طاعة الله، وارتكاب المحرمات، قال U: { وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ } [(٢)] فمن كان مبتلى بذلك فعليه أولاً : أن يُخلِّصَ نفسه من هذا الفسق ، ثم يُقبل على ربه تبارك وتعالى حتى يهديه U .

ومنها: الخيانة ؛ قال U : { وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ } [(٣)].

ومنها : الكــذب ؛ قـال تعـالى : { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ } [(٤)].

ومنها: الإسراف؛ قال U : { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ } [(٥)] مسرف على نفسه بارتكاب الذنوب والمعاصي والعياذ بالله U .

فكل هؤلاء حرمهم الله تبارك وتعالى من الهداية ، ومن لم يهتد في الدنيا إلى صراط الله المستقيم ، فلن يهديه الله U يوم القيامة إلى الصراط الـذي

---

(١) النساء : ١٦٨ – ١٦٩ .

(٢) المائدة : ١٠٨ .
(٣) يوسف : ٥٢ .
(٤) الزمر : ٣ .
(٥) غافر : ٢٨ .

يقوده إلى الجنة ، لأن صراط الله المستقيم مضروب على جهـــنم ، وهـــو الطريق إلى الجنة ، فمن سلك طريق الله المستقيم في هذه الحياة الدنيا ، فإنه علامة بإذن الله على أنه سيسلك الصراط المستقيم إلى الجنة ، وإلى رضوان الله تبارك وتعالى .

المقصود بـــ **" الصراط المستقيم " :**

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله : (أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً ، على أنَّ الصراط المستقيم هو الطريق الواضـــح الـــذي لا اعوجاج فيه) [١].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : (اختلفت عبـــارات المفـــسرين مـــن السلف والخلف في تفسير الصراط ، وإن كان يرجع حاصـــلها إلى شـــيءٍ واحد ، وهو المتابعة لله وللرسول e ، فروي :

١- أنه كتاب الله : جاء ذلك عن علي مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف أشبه.

٢- وقيل : إنه الإسلام ؛ جاء ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وجابر .

٣- وقيل : إنه الحق ؛ وجاء ذلك عن مجاهد .

٤- وقيل : إنه النبي e وصاحباه من بعده ؛ وجاء ذلك عن أبي العالية، ووافقه الحسن) [٢] .

---

(١) " تفسير الطبري " (١/ ١٧٠) .

(٢) " تفسير ابن كثير " (١ : ١٦٠ - ١٦٢) بتصرف .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : (وكلٌّ هذه الأقوال صحيحة ، وهـي متلازمة ، فإنَّ من اتَّبع النبَّي e واقتدى باللذَيْن من بعده: أبي بكر وعمر ، فقد اتَّبع الحق ، ومن اتَّبع الحق فقد اتبع الإسلام ، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن ، وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم ، فكلُّها صحيحة يصدق بعضها بعضاً ، ولله الحمد)(١).

بيان نبوي للصراط المستقيم :

في الحديث النبوي الصحيح عن ابن مسعود t قال : خط لنا رسول الله e خطاً وقال : (**هذا سبيل الله**) ، ثم خط خطوطاً عن يمينه ويساره وقال : (**هذه سبل على كلِّ سبيل شيطان يدعو إليه**) ، ثم قرأ قول الله تعالى : { وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ } (٢) .

وهنا نتعلم من رسول الله e أسلوب الدعوة الحكيم ، ما كان يكتفي e بالدعوة الكلامية باللسان، بل كان يستعمل اللسان، ويستعمل الحركات، ويستعمل الرسوم والكتابة ، حتى يُعَلِّم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم .

فهنا الرسول عليه الصلاة والسلام يُعَلِّمُ أصحابه بالرسم ، فيخط لهم خطاً على الأرض . ويقول : (**هذا سبيل الله**) ثم خط خطوطاً عن يمينه

---

(١) " تفسير ابن كثير " (١ : ١٦٢) .

(٢) رواه البخاري (٦٤١٧) ، والترمذي (٢٤٥٦) ، والآية من سورة (الأنعام : ١٥٣).

وعن شماله وقال : **(هذه سبل)** طرق **(على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه)** هذا صراط الله المستقيم لا اعوجاج فيه ، واضح بَيِّنٌ لكل صاحب عقل ، ليس فيه اعوجاج ، ولا ميل ، ولا زيغ ، ولا ضلال ، وهذه طرق الشيطان ، وسبل الشيطان .

فطريق الله واحد ، وسبل الشيطان كثيرة ، يتيه فيها الإنسان ، فمن اتبع سُبُلَ الشيطان تاه وضاع واختل ؛ لأن أمامه سُبلاً كثيرة ، ولكن من اتبع سبيل الله اهتدى واطمئن وارتاح ، لأنه سبيل واحد ، ثم قرأ قول الله تبارك وتعالى: { وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } صراط الله المستقيم ، هو الصراط الموصل إلى رضوان الله ، هو الصراط الذي يؤدي بك إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض ، فهو الصلة بينك وبين ربك سبحانه وتعالى .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود t ، عن النبي e قال :

(ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مُفَتَّحة وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعند رأس الصراط داعٍ يقول : استقيموا على الصراط ولا تعوجوا وفوق ذلك داعٍ كلما همَّ عبدٌ أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : " ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه " ، ثم فسَّره فأخبر أنّ **(الصراط : هو الإسلام ، والستور المرخاة : حدود الله، والأبواب المفتوحة : محارم الله ، والداعي على رأس**

الصراط : هو القرآن ، والداعي من فوقه : هو واعظ الله في قلب كـــل مؤمن) [(١)] .

والصراط تارة يُنسب إلى الله تعالى كما في قوله سبحانه : { وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا }[(٢)]، وقوله تعالى: { وَإِنَّكَ لَتَهۡدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ ۗ } [(٣)] .

وتارة يُنسب إلى عباده الصالحين الذين أنعم الله عليهم بالهداية ؛ كما في قوله تعالى : { ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ } ونَسَبَ الصراط إليهم ؛ لكـــونهم أهــــل سلوكه ، وهو المنسوب إليهم، وهم المارُّون عليه .

وقوله تعالى : { وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَىۡءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِى هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ } [(٤)] .

وهذا المثل ضربه الله U للذين يعبدون الأصنام ، والذين يعبـــدون الله ، فالذين يعبدون الأصنام كأنما يعبدون أبكم أَصَمَّ لا ينفعهم ولا يـــضرُّهم ،

---

(١) رواه أحمد (٤ : ١٨٣) وقال المنذري في الترغيب : رواه البزار مختـــصراً بإســـناد حسن ، وهو عند الترمذي (٢٨٥٩) من حديث النواس بن سمعان t ، وقـــال الترمذي : حديث حسن غريب .

(٢) الأنعام : ١٥٣ .

(٣) الشورى : ٥٢-٥٣ .

(٤) النحل : ٧٦ .

وليس بيده شيءٌ ، ومن عبد الله تبارك وتعالى ، فهو الذي يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيمٍ ، وقيل هو رسول الله e ، يعني : هل يستوي هو والرسول e الذي يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم .

والله U على صراط مستقيم ؛ كما جاء في قوله تعالى : { مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [1] ، فالله U على صراط مستقيم ، في قوله وفعله ، فقوله صدق ورشدٌ ونصحٌ وهدى ، وفعله حكمةٌ وعدلٌ ورحمةٌ ومصلحةٌ .

والله U متكفِّل ببيان هذا الصراط ، قال الله تعالى: { قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } [2] ، قيل في تفسير هذه الآية : هذا صراط إليَّ مستقيم ، أي : موصلٌ إليَّ ، وإلى رضواني وإلى الجنة .

وقيل : { قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } بمعنى : هذا صراط عليَّ بيانه وتوضيحه للناس ، وكذلك قول الله U { وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ } [3] فيها القولان والمعنيان جميعاً .

فمن سار على صراط الله المستقيم فهو مع الله U ، وأكرم بها من مَعيّةٍ ، ومن سار على سبل الشياطين فهو معهم والعياذ بالله .

---

(١) هود : ٥٦ .

(٢) الحجر : ٤١ .

(٣) النحل : ٩ .

النبي e يرشد إلى الصراط المستقيم :

قال الله U : { الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ } [(١)] .

وقال سبحانه : {وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ } [(٢)].

وقال U: { يسٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ } [(٣)].

الشيطان يريد إبعاد الإنسان عن الصراط :

والشيطان الرجيم لا يدع الإنسان سائراً على صراط الله المستقيم ، بل لا بد أن يأتيه حتى يعوجه عن هذا الصراط ، كما قال U : { قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ } [(٤)] لأنه الصراط الموصل إلى الجنة، وإلى رضوان الله U ، فالسعيد من ثبت على صراط الله تبارك وتعالى ، والشقي من انحرف والعياذ بالله U من ذلك .

---

(١) إبراهيم : ١ .
(٢) الشورى : ٥٢ - ٥٣ .
(٣) يس~ : ١-٤ .
(٤) الأعراف : ١٦ - ١٧ .

وهذا الصراط إما أن يكون المسلم مستقيماً عليه ، وإما أن يكون على سبل الشيطان ، لا يمكن أن يكون على الخير وهو على غير الصراط ، قال الله U: { أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[1] ، معادلة : تعادل وتختار وترجح ؛ أيهما أفضل ؟ أن يسير المسلم على صراط الله المستقيم ؟، أو يسير على طريق الشيطان والعياذ بالله U ؟، فشَبَّه من يسير على طريق الرحمن بالذي يرى ويبصر ويرفع رأسه ، والذي يسير على طريق الشيطان بالمنكب الذي لا يبصر الطريق الذي أمامه ، وإنما يمشي على غير هدى ، فهو يضرب يميناً وشمالاً لا يبصر الطريق الواضح ، فمن الذي على الخير ؟! هل الذي يسير وهو لا يعرف أين الطريق ؟! أم الذي يسير وهو يعرف أنه على طريق مستقيم ؟!.

وقال U : { لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ } فإما ظلمات وإما نور على صراط الله المستقيم .

وقال سبحانه وتعالى : { وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[2].

وسماه الله تعالى صراطاً مستقيماً لمعانٍ كثيرة ؛ منها : أنه ليس فيه اعوجاج . ومنها : أنه يحتاج إلى الاستقامة دائماً ، لا ينفع أن يكون الإنسان على الصراط المستقيم ، ثم يخرج ، ثم يعود مرةً أخرى ، فالصراط المستقيم يحتاج إلى الاستقامة ، والاستقامة تحتاج إلى الدوام . وإلى المداومة ،

---

(١) الملك : ٢٢ .
(٢) الأنعام : ٣٩ .

جعلنا الله U من أهل الاستقامة ، فإذا استقمت على صراط الله المستقيم في الدنيا ، ثبت الله قدميك على صراط الله U يوم القيامة .

وصف نبوي لصراط جهنم :

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري t أنه قال : (بلغني أنَّ الجسر ـ أي: الصراط ـ أدقُّ من الشعر وأَحَدُّ من السيف) [1] .

وروى الشيخان عن النبي e في حديث الشفاعة الطويل : (**...ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم**) جهنم من أسفل ، والصراط مضروب عليها ، والمرور من فوقها (**فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته**) وهذا تكريم من الله لرسوله e (**ولا يتكلَّم يومئذٍ أحد إلا الرسل**) من شدة الهول والفزع ، ومن عِظَمِ ما يرون من أمر الصراط وجهنم والعياذ بالله (**وكلام الرسل يومئذ : اللهم سَلِّم سَلِّم ، وفي جهنم كلاليب من شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟**) قالوا : نعم ، قال : (**فإنها مثلها غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم**) [2] .

وفي رواية مسلم : (**فيمر المؤمنُ كطَرْفِ العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاود الخيل والركاب ، فناجٍ مُسلَّم ومخدوش مرسل ،**

---

(١) رواه مسلم (١٨٣) .

(٢) رواه البخاري (٦٥٧٣) ، ومسلم (١٨٢) .

ومكدوس في نار جهنم) [١] . ومكدوس في النار ، أي : يتكدس بعضهم فوق بعض والعياذ بالله U، وهذا الذي زاغ عن صراط الله U في الدنيا ، واستهزأ بصراط الله المستقيم ، واستهزأ بالدين والقرآن والإسلام ، وسخر من أهل الإسلام، والعياذ بالله U، فلا يتحمل أن يسير على الصراط شيئاً ، بل يهبط والعياذ بالله U في نار جهنم .

وعند أبي داود أنَّ عائشة رضي الله عنها ذكرت النار فبكت ، فقال الرسول e : (**وما يبكيك ؟**) ، قالت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال : (**أما في ثلاثة مواطن ، فلا يذكر أحدٌ أحداً : عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل ؟!، وعند الكتاب حتى يُقال : { هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ }** [٢] **حتى يعلم أين يقع كتابه : أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره ؟!، وعند الصراط إذا وُضع بين ظهري جهنم)** [٣].

بعضُ ما يعين على جواز الصراط :

لقد علَّمنا النبي e بعض الأمور والعبادات ، إذا فعلناها أعاننا الله على الصراط ويَسَّر لنا المرور عليه ، وأعاننا عل جوازه .

---

(١) رواه مسلم (١٨٣) .

(٢) الحاقة : ١٩ .

(٣) رواه أبو داود (٤٧٥٥) .

فمن أراد الجواز على الصراط ، سار على صراط الله المستقيم في الدنيا ، وهذه بعض الأعمال الصالحة المعينة على الجواز على الصراط :

١ - ملازمة بيوت الله تعالى ، ففي الحديث عن أبي الدرداء t قال : سمعت النبي e يقول : (**المسجد بيت كل تقي ، وقد ضمن الله U لمن كان المسجد بيته ، بالروح والرحمةِ والجوازِ على الصراط إلى رضوان الله وإلى الجنة**) [١] . وليس معنى (المسجد بيته) : أن ينام ويأكل ويشرب في المسجد ، ولكن : كما يحن قلبه إلى بيته ، ويرتاح في بيته ، ويسكن وتطمئن نفسه في بيته ، كذلك يحب الذهاب إلى المسجد ، ويرتاح قلبه وروحه عندما يدخل إلى المسجد .

وعن أبي هريرة t قال: سمعت رسول الله e يقول: (**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**) وذكر منهم (**ورجلٌ قلبه معلق بالمساجد**)[٢].

٢ - مُسامحة النادِم ، وإقالته في بيعه أو عثرته، فعن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : (**من أقال مسلماً بيعتَه ، أقالَهُ الله عثرتَه يومَ القيامة**) وفي رواية لابن حبان (**من أقال مسلماً عثرته أقاله الله من عثرته يوم القيامة**) [١] فمن أقال مسلماً أقال الله عثرته يوم القيامة ، ورحمه الله من السقوط في نار جهنم ، وثبته على الصراط .

---

(١) رواه الطبراني في " المعجم الكبير " (٦١٤٣) وقال المنذري في الترغيب (٤٩٤) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، والبزار وقال : إسناده حسن ، وهو كما قال رحمه الله . ا.هـ.

(٢) رواه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١).

٣- قضاء حوائج المسلمين ، والشفاعة لهم ، فعن عبد الله بـــن عمـــر رضي الله عنهما ، أن النبي e قال : **(... ومن مشى مع أخيه في حاجـــةٍ حتى يقضيها ثبَّت الله قدميه يوم تزل الأقدام)** (٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله e قال : **(من كان وصْـــلَةً لأخيهِ المسلم إلى ذي سلطان في مَبْلَغ بِرٍّ أو تيسير عسير ، أعانـــه الله تعالى على إجازة الصراط يوم القيامة عند دحض الأقدام)** (٣) .

# # # #

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٦٠) ، وابن ماجـــه (٢١٩٩) ، وابـــن حبـــان (٥٠٠٧ – ٥٠٠٨) ، والحاكم (٢/ ٤٥) وقال : صحيح على شرطهما. ومعنى " أقال ": أي وافق على نقض البيع إذا ندم وأحبَّ أن يتراجع . وفي روايةٍ لأبي داود في المراسيل : (من أقالَ نادِماً أقاله الله نفسَه يوم القيامة) .

(٢) تقدم تخريجه صـــ(٦٣) هامش (٣).

(٣) " صحيح ابن حبان " (٥٣١) ، و" المعجم الصغير للطبراني " (٥٤١) . وقـــال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٨/ ١٩١) : رواه الطبراني في الأوسط والـــصغير ، وفيه إبراهيم بن هشام النسائي ، وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه أبو حاتم وغـــيره . ا.هـــ.

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾

قوله تعالى : { صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ } الصراط في هذه الآية معطوف على الصراط المستقيم الوارد في الآية التي قبلها ؛ وهو بدل منصوب من الصراط كما يقول علماء اللغة .

وكلامنا في هذا الموضع من الآية ، يدور حول ثلاثة أمور :

(١) المنعم ، حتى نشكره ، ونتقرب إليه ، ونحبه ، ونعظمه .

(٢) والنعمة ، حتى نحافظ عليها ، ونعرف قدرها ، ولا نفرط فيها .

(٣) والمنعم عليهم ، حتى نقتفي آثارهم ، ونسير على دربهم ، عسى أن نكون منهم .

(١) أما المنعم : فهو الله سبحانه وتعالى ، ونَسب جميع النعم إليه سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى : { وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ } [١] ، وهذه الآية شملت كل النعم التي يتنعم بها الإنسان في الدنيا والآخرة ، وبيَّنَتْ أن مصدرها ومبدأها واحد ، وهو الله وحده سبحانه .

وقال سبحانه أيضاً : { وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ } [٢] ، والآية الأخرى : { وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ } [١] .

---

(١) النحل : ٥٣ .
(٢) النحل : ١٨ .

وقال جل وعلا : { أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ }(٢) .

وقال تبارك وتعالى : { وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ } (٣) .

وقال الله تعالى : { فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ } (٤) .

فالنعمة مبدؤها ومصدرها ومنشؤها من الله U، وهذا أمر عظيم ومهم، ينبغي للمسلم أن يعرف أن النعمة آتية إليه من الله تبارك وتعالى حتى يشكره بعد ذلك .

(٢) النعمة : وأما النعمة الواردة في هذه الآية فهي نعمة الإسلام والدين، كما في قوله تعالى : { ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا } (٥) ، فسمَّى اللهُ سبحانه وتعالى الإسلامَ والدينَ نعمةً ، وسمَّى النعمةَ إسلاماً وديناً .

وعن الحسن قال : سمع النبي e رجلاً يقول : " الحمد لله على نعمة الإسلام " فقال e : **(إنك لتحمد الله على نعمة عظيمة)** (٦) .

إذاً : نعمةُ الإسلام هي أعظم النعم كلها ؛ أعظم من نعمة الصحة والعافية ، ومن نعمة المال ، ومن نعمة الأولاد ، ومن كل النعم ؛ لأنها هي

---

(١) إبراهيم : ٣٤ .

(٢) النحل : ٧١ .

(٣) الإسراء : ٨٣ .

(٤) آل عمران : ١٧٤ .

(٥) المائدة : ٣ .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر (٩) .

التي رفعت من قدرنا ، فقد كان آباؤنا وأجدادنا في جزيرة العرب يعبدون الأصنام ، فشرفنا الله تبارك وتعالى بهذا الدين ، كانوا يسجدون للأوثـــان والأحجار والأشجار ، فشرفكَ الله وكرمك سبحانه وتعالى وما جعلـــك تسجد لحجر ولا لشجر ولا لبشر ، وإنما جعلـــك تـــسجد لله U ، وإذا استعنت والتجأت رفعت يدك وبصرك إلى السماء، تلجأ إلى القوة العظيمة، إلى قوة الله تبارك وتعالى.

نعم ! قد لا يشعر الإنسان بهذه النعمة ، نعمة الإسلام ، إلا عندما يرى الكفار الذين تنوعوا في عبادهم ، فهذا يعبد الصنم والحجر ، وذاك يعبـــد البهائم ؛ يعبد البقر، والآخر يعبد الأشجار ، والآخر يعبد الشمس والقمر ، والآخر يعبد الحشرات ؛ عندما يرى الإنسان أولئك الناس الذين انحطَّـــتْ عقولهم وأفكارهم إلى هذا المستوى ، يشعر بنعمة الله U عليـــه ، وأن الله كَرَّمهُ من دون البشر أجمعين بهذه النعمة العظيمة ، ألا وهي نعمة الـــدين ، ونعمة الإسلام ، وهي التي تعتقك من عذاب الله U يوم القيامة ، وهـــي التي تخلدك في جنةٍ عرضها السماوات والأرض ، وهي التي تكتب لك الفوز الكبير العظيم يوم القيامة . إذاً أعظم نعمة هي نعمة الإسلام التي أكرمنا الله تبارك وتعالى بها .

وقال تعالى: { وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ }[1]، يعني: ومن يبدل الدين والإسلام الذي جاءه من الله U ، فإن الله شديد العقاب .

وقال جل وعلا : { وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا } [2] أي : بالإسلام والدين .

وقال تبارك وتعالى : { ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا } [3] ، فجعل نعمة الله مقابل الكفر ، ونعمة الله هي الإسلام ، والإسلام يقابله الكفر .

وقال سبحانه : { أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ } [4] .

وقال U : { وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ } [5] .

وقال سبحانه : { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا } [6] .

وقال تعالى : { وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ } [1] .

---

(١) البقرة : ٢١١ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .
(٣) إبراهيم : ٢٨ .
(٤) النحل : ٧٢ .
(٥) الضحى : ١١ .
(٦) النحل : ٨٣ .

(٣) **المنعم عليهم** : وأما الذين أنعم الله تعالى عليهم، وهم المقصودون في هذه الآية { صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ } ، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : { صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ } طريق من أنعمت عليهم ، من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين الذين أطاعوك وعبدوك [٢].

كما في قوله U : { وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا } [٣] .

وأما سبب نزول هذه الآية فقد روى ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير قال : (جاء رجلٌ من الأنصار إلى رسول الله e وهو محزونٌ ، فقال له النبي e : (**يا فلان مالي أراك محزوناً ؟**) فقال : يا نبي الله ، شيءٌ فكَّرتُ فيه . فقال : (**ما هو ؟**) ، قال : نحن نغدو عليك ونروحُ ، ننظُرُ إلى وجهك ، ونجالسك ، وغداً تُرفع مع النبيين فلا نَصِلُ إليك . فلم يَرُدَّ عليه النبي e شيئاً ، فأتاه جبريل بهذه الآية : { وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا } فبعث النبي e إليه فبَشَّرهُ)[٤].

---

(١) النحل : ١١٢ .

(٢) " تفسير الطبري " (١/ ١٧٧) .

(٣) النساء : ٦٩ .

(٤) " تفسير الطبري " (٧/ ٢١٣ ، ٢١٤) .

وفي رواية : " إنك لأحبُّ إليَّ من نفسي ، وأحبُّ إليَّ من أهلي، وأحبُّ إليَّ من ولدي ، وإني لأكون في البيت ، فأذكركَ ، فما أصبر حتى آتيـــكَ ، فأنظر إليك ، وإذا ذكرتُ موتي وموتك ، عرفت أنك إذا دخلـــت الجنـــة رُفِعت مع النبيين ، وإن دخلتُ الجنةَ خـــشيتُ أن لا أراك " . فلـــم يـــرد عليه النبي e ، حتى نزلت عليه : { وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ...**الآية** }[1] .

النبوة والأنبياء :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله e يقول :

(ما من نبي يَمرض إلا يُخيَّر بين الدنيا أو الآخرة) وكان في شـــكواه التي قبض فيها أخذته بحةٌ شديدةٌ ، فسمعته يقـــول : { مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ } فعلمتُ أنه خُيِّر[2] .

النبيون لغةً : من النبأ وهو الخبر ، أي أن الله تعالى يُنبيءُ الـــنبيَّ ويخـــبره ويوحي إليه ، أو من النَّبْوَة : وهي المكان المرتفع ؛ لرفعة شأهم ومكانتـــهم عند الله تعالى .

وفي الشرع : هم من أوحى الله إليهم بشرع ، ولم يؤمروا بتبليغه ، وإنما تشريف لهم واصطفاء، والرسل أنبياءٌ كذلك غير أهم أُمروا بتبليغ رسالتهم.

---

(١) انظر " تفسير ابن كثير " (٢/ ٩٦٤) ، و" المعجم الصغير " (١/ ٢٦) .
(٢) رواه البخاري (٤٤٣٥ ، ٤٤٦٣) ، ومسلم (٢٤٤٤) .

أما عددهم : فقد رُوِيَ عن أبي ذرٍّ t في حديث طويل ، قال : قلت يا رسول الله : كمِ الأنبياءُ ؟ قال : **(مئة ألفٍ وعشرون ألفاً)** . قلت : يا رسول الله ، كم الرسل من ذلك ؟ قال : **(ثلاث مئة وثلاثة عشر جماً غفيراً)** [1] .

والذين ورد ذكرهم في القرآن خمسةٌ وعشرون رسولاً فقط ، عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو t ، أن النبي e قال : **(من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه)** [2] .

وعن معاذ t قال : سمعت رسول الله e يقول : قال الله U : **(المتحابون في جلالي لهم منابر من نورٍ يغبطهم النبيُّون والشهداء)** [3] .

الصديقون والشهداء :

والصديقية : مرتبةٌ بعد النبوة ، وهي من شدّة التصديق ، من شدة الإيمان الذي لا يخالجه شك؛ ليس فيه أدنى شك ، وهي مرتبة سامية عالية ،

---

(١) رواه ابن حبان (٣٦١) ، وقال الشيخ شعيب : إسناده ضعيف جداً . والحديث رواه أحمد مختصراً (٥/ ١٧٨ ، ١٧٩) رقم (٢١٥٤٦) ، (٢١٥٥٢) وقال محققو المسند : إسناده ضعيف جداً .

(٢) رواه الحاكم (٢٠٧٢) وقال : صحيح الإسناد . ورواه البيهقي في الشعب (٢٣٥٣).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٩٠) ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وقد وصف الله بها بعض أنبيائه ورسله ، وكذا وصف بها من آمنوا بأنبيائه ورسله ، قال تعالى : { يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ }[1] ، وقال جل وعلا : { وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا } [2] ، وقال سبحانه وتعالى : { وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا }[3]، وقال تبارك وتعالى : { وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ } [4].

وقد سمى الله تبارك وتعالى مريم صدِّيقة ، فقال تعالى : { وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ } [5] .

وسمَّى نبيُّ الله e صاحِبَهَ أبا بكر بالصدِّيق لشدَّة تصديقه .

وعن عبد الله بن مسعود t ، قال : قال رسول الله e : **(عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق حتى يُكتب عند الله صِدِّيقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كَذَّاباً)**[6] .

---

(١) يوسف : ٤٦ .
(٢) مريم : ٤١ .
(٣) مريم : ٥٦ .
(٤) الحديد : ١٩ .
(٥) المائدة : ٧٥ .
(٦) رواه البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (٢٦٠٧) .

وأما الشهداء ، فعن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e لأصحابه : (**ما تعدون الشهيد فيكم ؟**) قالوا: من قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيد ، قال: (**إن شهداء أمتي إذاً لقليل**) . قالوا : فمن يا رسول الله ؟ قال : (**من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد**) [١] .

وفي رواية : (**والغريق شهيد، وصاحب الهدم شهيد، والحرق شهادة ، والنفساء يقتلها ولدها جمعاً شهادة**) .

وقال رسول الله e : (**من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه**) [٢] .

الصالحون :

هم عموم المؤمنين الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم ؛ هم الذين آمنوا وعملوا أعمالاً صالحةً يحبها الله جل وعلا ويرضاها ؛ كما في قول الله تعالى: { وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ }[٣] .

---

(١) رواه مسلم (١٩١٥) .

(٢) رواه مسلم (١٩٠٩) .
(٣) العنكبوت : ٩ .

وقد وصفَ الله بعضَ أنبيائه ورسله بالصلاح ، كما وصفَ بذلك عَبَاده المؤمنين كذلك .

قال تعالى : { وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ } [1] .

وقال جل وعلا أيضاً: {وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ}[2].

وقال سبحانه: { إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ }[3] .

وقال تبارك وتعالى : { رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا } [4] .

وقـــال جـــل وعـــلا : { وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ } [5] .

وقـــال ســـبحانه وتعـــالى : { وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ } [6] .

وقال تبارك وتعالى : { وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ } [1] .

---

(١) آل عمران : ٤١ .

(٢) الأنعام : ٨٥ .

(٣) الأعراف : ١٩٦ .

(٤) الإسراء :٢٥ .

(٥) الأنبياء : ٧٢ .

(٦) النور : ٣٢ .

# # # #

(١) المنافقون : ١٠ .

﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾

قوله تعالى { غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ } فبعد أن طلب من الله U الهداية إلى صراطه المستقيم ، استثنى وطلب الاستعاذة والبعد عن صراط المغضوب عليهم والضالين ، فالآية استثنتهم وأخرجتهم وأبعدهم من صراط الله المستقيم .

من هم المغضوب عليهم ؟

والمغضوب عليهم : هم الذين حل عليهم غضب الله تبارك وتعالى ، وغضب الله ليس كغضب بني آدم ، ولو كان في الاسم واحداً ، ولكن غضب بني آدم فيه من الضعف ومن الحزن ومن الهم والغم ، ولكن غضب الله تبارك وتعالى ليس فيه شيء من ذلك ، لأنه سبحانه متره عن كل عيب وعن كل نقص ، والله تبارك وتعالى هو الكامل U ، فغضبه ليس كغضب بني آدم .

والمغضوب عليهم : هم الذين عرفوا الحق و لم يعملوا به .

ومنهم اليهود ؛ فعن عدي بن حاتم t في حديثٍ طويل قال : قال رسول الله e : **(إن المغضوب عليهم : اليهودُ ، وإن الضآلين : النصارى)** [(١)] .

وقد ورد ذكر اليهود مقترناً بغضب الله في كثير من الآيات :

قال جل وعلا : { قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ } [(٢)]، وهم اليهود الذين خالفوا أمر الله تبارك وتعالى ، والذين تحايلوا على شرع الله U، فكان أن حرم الله U عليهم الصيد يوم السبت، فكانوا يأتون بشباكهم ويجعلونها يوم السبت ثم يأتون يوم الأحد فيأخذونها تحايلاً على شرع الله تبارك وتعالى ، فمسخهم الله قردةً وخنازير ، وغضب عليهم ، وحَقَّتْ عليهم لعنة الله إلى يوم القيامة .

وقال سبحانه : { وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ } [(٣)] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٧٨/٤) رقم (١٩٣٨١) ، ورواه الترمذي مطوّلاً ومختصراً (٢٩٥٣ ، ٢٩٥٤) وقال : حديث حسن غريب .

(٢) المائدة : ٦٠ .

(٣) البقرة : ٦١ .

هذه بعض أسباب غضب الله عليهم : الكفر بآيات الله U ؛ الآيـــات تنـــزل عليهم ، التوراة تقرأ عليهم ، وهم يكفرون ، يعني : لا يؤمنون بها ، ولا يصدقونها ، كما هو حال بعض المسلمين في هـــذه الأيـــام وللأســـف الشديد ، الذين لا يصدقون شرع الله ، ولا يعترفون ولا يثقون بأحكام الله تبارك وتعالى، فيصفون أحكام الشريعة الإسلامية الغراء بأنها أحكام قاســـية وغير صالحة لهذا الزمان ، وهي أحكام ملك الملوك سبحانه وتعالى ، الذي هو أعلم بخلقه ؛ وهذا كفر بآيات الله تبارك وتعالى ، عدم ثقةٍ في شرع الله، عدم تطبيق لأحكام الله ، كل ذلـــك يـــدخل في هـــذا { ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ } ، { وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ } الذين يأتون بآيـــات الله، كانوا يقتلونهم ؛ فقد نشروا زكريا ويحي بالمنشار ، وأرادوا قتـــل عيـــسى فرفعه الله تبارك وتعالى ، وكان دأبهم قتل الأنبياء ، لأنهم هم الذين ينقلون أوامر الله تبارك وتعالى إليهم .

وقال تبارك وتعالى : { ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ } [1] ؛ وقال جل وعلا : { بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ } [2] ؛ كفروا

---

(١) آل عمران : ١١٢ .

(٢) البقرة : ٩٠ .

بنبينا محمدٍ e حسداً وبغياً ، لأن الله اختاره نبياً من بين العرب ، و لم يختره منهم .

قال عبد الله بن عباس t : غضب الله عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم ، وغضب عليهم مرةً أخرى بكفرهم بهذا النبي محمد e الذي بعثه الله إليهم .

وقال سبحانه أيضاً : { إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ } [1] ، بينت هذه الآية جريمةً من جرائمهم ؛ وهي عبادتهم العجل من دون الله ، حيث زعموا أن العجل هو ربهم ورب موسى ، والعياذ بالله تعالى ، ولهذا استحقوا غضب الله تعالى عليهم .

وقال تعالى : { ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ } [2] .

وقال سبحانه وتعالى: { يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ } [3] .

---

(١) الأعراف : ١٥٢ .

(٢) المجادلة : ١٤-١٦ .

(٣) المجادلة : ١٨-١٩ .

إذاً هذه الآيات بيَّنَت وأَكَّدَتْ لنا أن اليهود من المغضوب عليهم ، وأن من اتصف بصفاتهم ، وتخلق بأخلاقهم التي ذكرها الله U ، ومنها : الافتراء على الله تبارك وتعالى ، والكفر بآيات الله ، وقتل الأنبياء ، ومعصية الله تبارك وتعالى ، والاعتداء على شرع الله U ؛ كل هذه الأمور ، وهذه الصفات ، من تخلق بها فقد عَرَّض نفسه لغضب الله تبارك وتعالى ، والمغضوب عليهم هم الذين عرفوا الحق و لم يعملوا به ، واليهود : عرفوا الحق و لم يعملوا به ، وكذلك المسلم إن كان قد عرف الحق ؛ الإسلام والإيمان ، ثم تركه و لم يعمل به ، فهو من المغضوب عليهم ، لأنه عرف الحق و لم يعمل به .

أفعالٌ تؤدِّي إلى غضب الله

(أ) في القرآن :

وردت بعضُ الآيات في كتاب الله تبارك وتعالى تبين لنا بعض الأعمال التي تؤدي بمن عملها إلى غضب الله تعالى ، ومن تلك الأعمال :

١ - التوليِّ يوم الزحف : قال الله تعالى: { وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ } [1] .

---

(١) الأنفال : ١٦ .

٢ - الكفر بعد الإيمان : قال الله تعــالى : { مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرً۬ا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ۬ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ۬ } (١) .

٣ - المحآجة في الله : قال تعــالى : { وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُ ۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ۬ وَلَهُمۡ عَذَابٌ۬ شَدِيدٌ } (٢) .

٤ - الطغيان : قال تعــالى : { كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِىۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِى فَقَدۡ هَوَىٰ } (٣) .

٥ - تعمد قتل المؤمن بغير حق : قال تعالى : { وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنً۬ا مُّتَعَمِّدً۬ا فَجَزَآؤُهُ ۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدً۬ا فِيہَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُ ۥ وَأَعَدَّ لَهُ ۥ عَذَابًا عَظِيمً۬ا } (٤) .

٦ - الظن بالله ظنَّ السوء : قال تعالى: { وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَـٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡہِمۡ دَآٮِٕرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡہِمۡ وَلَعَنَہُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرً۬ا } (٥) .

---

(١) النحل : ١٠٦ .

(٢) الشورى : ١٦ .

(٣) طه : ٨١ .

(٤) النساء : ٩٣ .

(٥) الفتح : ٦ .

٧- الكفر باليوم الآخر : قال تعالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ }[(١)] .

فهذه بعض الآيات التي تبين لنا بعض الأعمال التي تؤدي إلى غضب الله، والعياذ بالله تعالى .

(ب) في السنة :

وردت في السنة بعض أحاديث تبين لنا بعض الأعمال التي من فعلها تسببت في غضب الله عليه والعياذ بالله ، ومن تلك الأعمال :

١- الحلف على مال المسلم بغير حق : عن عبد الله بن مسعود t ، أن النبي e قال : **(من حلف على مال امرئٍ مُسلمٍ بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان)** قال عبد الله t : ثم قرأ علينا رسولُ الله e مصدَاقَهُ من كتاب الله U : { إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ }[(٢)] .

٢- ترك الصلاة : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قامَ بصري قيل: نداويك وتدع الصلاة أياماً ؟ قال : لا ، إن رسول الله e قال: **(من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان)** [(٣)] .

---

(١) الممتحنة : ١٣ .

(٢) رواه البخاري (٤٥٤٩) ، مسلم (١٣٨) واللفظ لمسلم .

(٣) رواه الطبراني في الكبير والبزار، وقال المنذري في الترغيب (٨٠٣) : إسناده حسن. ومعنى : " قام بصري " أي : ذهب بصري . تقول : " قامت العين " : إذا ذهب بصرها والحدقة صحيحة .

٣ - المخاصمة في الباطل : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنـــهما في حديث طويل قال : سمعت رسول الله e يقول : (**... ومن خاصـــم في باطل وهو يعلمُ لم يزل في سخطِ من الله حتى يَنْزِع**)[1] .

٤ - الإعانة على خصومة بظلم : عن عبد الله بن عمـــر رضـــي الله عنهما في حديث طويل قال : سمعت رسول الله e يقول : (**... ومـــن أعان على خصومةٍ بغير حق فهو مُستظلٌ في سخَطِ الله حتى يَترُك**).

وفي رواية أبي داود t ، عن النبي e بلفظ : (**من أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله**)[2].

وعند ابن ماجه عنه بلفظ : (**من أعان على خصومة بظلم** (أو : يُعينُ على ظلمٍ) **لم يزل في سَخَطِ الله حتى يترع**)[3].

٥ - الشفاعة في حدود الله : عن أبي الدرداء t عن النبي e قال : (**أيما رجل حالت شفاعته دون حد من حدود الله لم يزل في سُـــخْطِ الله حتى يَنْزِع**)[1].

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٧٠) رقم (٥٣٨٣) وقال محققو المسند: إسناده صحيح. ورواه أبـــو داود (٣٥٩٧)، والحاكم (٢/ ٢٧) بتمامه ، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٨١) رقم (٥٥٤٤) وقال محققو المسند : حديث حسن ، وعزاه في الجامع الصغير إلى الطبراني، وهو عند الحـــاكم (٤/٩٩) ، وأبي داود (٣٥٩٨)، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

(٣) رواه ابن ماجه (٢٣٢٠) .

٦- التماس رضا الناس بسخط الله : عن عائشة رضـــي الله عنـــها قالت: سمعت رسول الله e يقول: (**من التمس رضاءَ الله بسخط الناس ، كفاه الله مُؤْنَةَ الناس ، ومن التمس رضاءَ الناس بسخط الله ، وكَلَـــهُ الله إلى الناس**)[٢] ، وفي رواية لابن حبان: (**من التمس رضـــا الله بـــسخط الناس، رضيَ الله عنه، وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضـــا النـــاس بسخط الله ، سخط الله عليه ، وأسخط عليه الناس**) .

وروى الطبراني مرفوعاً إلى النبي e : (**من تحبب إلى الناس بما يحبونه ، وبارز الله تعالى ، لقي الله U وهو عليه غضبان**) [٣] .

٧- الاعتداء على المسلمين بغير حق : عن أبي أمامة t قال : قـــال رسول الله e : (**من جَرَّد ظهر مسلم بغير حق ، لقي الله وهـــو عليـــه غضبان**)[٤].

---

(١) قال المنذري في " الترغيب والترهيب " (٣٣٢٢) : رواه الطبراني ، ولا يحـــضرني الآن حال إسناده . وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٤/ ٢٠١) رواه الطبراني في "الكبير" وفيه من لم أعرفه . ا.هـــ.

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٤) ، وابن حبان (٢٧٦) ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٢٨١٧) ، وقال الهيثمي في " المجمع " (١٠/ ٢٢٤) : وفيه الفضل بن المختار ، وهو ضَعيف ا.هـــ.

(٤) الطبراني في الكبير ، والأوسط (٢٣٣٩) ، وقال المنذري في "الترغيـــب" (٣٦١٥): إسناده جيد .

٨- مشية الخُيَلاَء : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله e يقول : (**من تعظَّمَ في نفسه ، أو اختَالَ في مشيته ، لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان**) [١] .

٩- التشبه بجلوس المغضوب عليهم : عن الشَّرِّيدِ بن سُوَيْد t قال : مَرَّ بي رسول الله e ، وأنا جالسٌ وقد وضعتُ يدي اليسرى خلف ظهري ، واتكأت على أَلْيَةِ يدي فقال e : (**لا تقعُد قِعدَةَ المغضوب عليهم**) [٢] .

نعوذ بالله U من أن نُعرِّض أنفسنا لغـــضب الله ، فكمــا قــال U : { وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ } [٣] ، ومن غضب عليه الله U فمن ذا الذي يرضى عنه ؟!، ولو رضيت الدنيا كلها عنه لن ينفعه ذلك الرضا ، إلا رضا الله تبارك وتعالى ، ولو رضي الله U عليه ، لا يضره غضب النـــاس كلهم ، ولو كان كل أهل الأرض ، لأن الله U رضي عنه .

نسأل الله U أن نكون من الذين رضى عنهم ، وألا يجعلنا من المغضوب عليهم ، إنه سبحانه وتعالى ولي ذلك والقادر عليه .

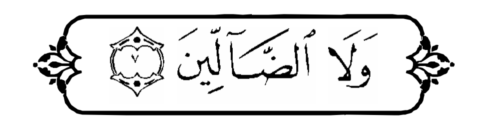
---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ١١٨) ، والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٩) ، والحـــاكم (١/٦٠) وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال المنذري في "الترغيب" (٤٣٠٢) : رواه الطبراني في " الكبير : واللفظ له ، ورواته محتجٌ بهم في الصحيح .

(٢) رواه الإمام أحمد (٤ / ٣٨٨) ، وأبو داود (٤٨٤٨) ، وابن حبان (٥٦٧٤) .

(٣) طه : ٨١ .

# # # #



من هم الضالّون ؟

تقدم قول النبي e في أنَّ : { وَلَا ٱلضَّآلِّينَ } هم النصارى [1].

والضلال هو الحيرة وعدم العلم وعدم المعرفة .

لماذا الغضب لليهود ، والضلال للنصارى ؟

قال الحافظ ابن كثير يرحمه الله : (واليهود فقدوا العمل ، والنصارى فقدوا العلم ، ولهذا كان الغضب لليهود ، والضلال للنصارى ؛ لأن من علم وترك استحق الغضب ، بخلاف من لم يعلم ، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه ؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه ، وهو اتباع الرسول الحق ؛ ضلّوا ، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه ، لكنَّ أَخصَّ أوصاف اليهود الغضب ، وقد قال الله تعالى فيهم : { مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ } [2] وأَخصَّ أوصاف النصارى الضلال كما قال الله تعالى : { قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ } [3]) [4].

---

(١) رواه الإمام أحمد من حديث عدي بن حاتم (٣٧٨/٤)، وتقدم الحديث صـ١١٥.

(٢) المائدة : ٦٠ .

(٣) المائدة : ٧٧ .

(٤) تفسير ابن كثير (١ : ١٦٤) بتصرف يسير .

علامة الهداية وعلامة الضلال :

وأما طريقة أهل الإيمان والإسلام، فهي مبنية على العلم بالحق والعمل به، وبهذا تميزت هذه الأمة المسلمة بهذه الصفة العظيمة ، فهم يعلمون الحق ويعملون به بإذن الله U ، فمن علم بالحق من المسلمين و لم يعمل به ففيه شبه من اليهود ، وفيه شبه من هؤلاء الناس الذين غضب الله U عليهم وفيه من غضب الله U بقدر ذنبه ومعصيته ، ومن لم يعلم وسلك غير طريق رسول الله e ، وابتعد عن هديه وعن نهجه، ففيه شبه من النصارى ؛ لأنه ضل عن صراط الله المستقيم ، وضل عن سنته وهديه e .

قال الإمام أبو جعفر الطبري : " فكل حائر عن قصد السبيل وسالك غير المنهج القويم فضال لإضلاله وجه الطريق " [١].

وعلامة الهداية انشراح الصدر ، وعلامة الضلالة ضيق الصدر ؛ كما قال الله تعالى : { فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ } [٢] .

بعض صفات أهل الضلال :

ونذكر هُنا بعض صفاتِ الضآلين حتى نتجنبها ، ونبتعد عنها ، ونحذر الوقوع فيها ؛ فمن صفات الضآلين :

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ١٩٧) .

(٢) الأنعام : ١٢٥ .

١ - الشرك : أن تشرك بالله U بعبادة الأوثان، أو بالشرك الخفي وهو الرياء والعياذ بالله U ، بأن تشرك مع محبة الله U محبة أحدٍ من خلقه ، أو مع الخوف من الله U خوفاً من أحدٍ من خلقه ، أو تستغيث بغير الله ، أو تدعو غير الله U ، أو تلجأ لغير الله ؛ وكل ذلك من الأمور التي اختصها الله U لنفسه ، فإذا صُرِفَتْ لغيره كان هذا شركاً بالله U .

قال الله تعالى : { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا } [١] .

٢ - الكفر بأركان الإيمان أو ببعضها : وأركان الإيمان ستة : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله تعالى .

قال تعالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا } [٢] .

وقال سبحانه وتعالى أيضاً : { إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ } [٣] .

---

(١) النساء : ١١٦ .

(٢) النساء : ١٣٦ .

(٣) آل عمران : ٩٠ .

٣- الصدّ عن سبيل الله : الصد عن الدعوة إلى الله تعالى ، الصدُّ عن كل طاعةٍ لله تبارك وتعالى ، فمن صدَّ عن سبيل الله ، وكان سداً بين الناس وبين طاعة الله U ، فقد عرَّض نفسه للضلال .

قال الحق تبارك وتعالى: { إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا } (١) .

وقال تعالى : { وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ } (٢) ، ولا يكفيهم أنهم صدوا عن سبيل الله ، بل يسعون لجعل صراط الله المستقيم عوجاً مثل اعوجاج طريقهم والعياذ بالله U ، وهكذا الضالون الذين سلكوا سبل الضلال الكثيرة ، لا يريدون لأهل الإيمان أن يستمروا على صراط الله المستقيم ، بل يريدون أن يصرفوهم ويصدُّوهم عن هذا الصراط ، كما ذكر الله تبارك وتعالى .

٤- معصية الله ورسوله : قال الله تعالى : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا }(٣)، يتبين من هذه الآية أن معصية العبد لله تبارك وتعالى ، تعرضه للضلال والعياذ بالله U ، فعلى المسلم أن يتقيَ الله تبارك وتعالى ،

(١) النساء : ١٦٧ .
(٢) إبراهيم : ٣ .
(٣) الأحزاب : ٣٦ .

فبقدر ما يكون مرتكباً للمعاصي ، بقدر ما فيه من الضلال ، وبقـــدر مـــا يتخلص من هذه المعاصي ، بقدر ما يتخلص من هذا الضلال .

٥- موالاة الكفار : والمقصود بالموالاة للكافر : حبه بالقلب ، ومتابعته في العمل ؛ قال الله تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ } [(١)].

٦- اتباع الهوى : فمن اتبع هواه فقد وقع في الضلال، قال الله تعالى : { أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [(٢)] .

وقال تعالى : { وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ } [(٣)] .

وقال الرسول المصطفى e : **(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعـــاً لما جئت به)** [(٤)] .

٧- الظلم : فمن كان ظالماً، فقد عرض نفسه للضلال؛ قال الله تعالى : { يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ

---

(١) الممتحنة : ١ .
(٢) الجاثية : ٢٣ .
(٣) القصص : ٥٠ .
(٤) رواه البخاري في قرة العينين (٤٥) .

ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ }[1]، فإذا أردت أن ينجيك الله من الضلال فابعد عن الظلم، فالظلم ظلمات يوم القيامة، والظلم ضلال في الدنيا والآخرة.

٨- **اللَّهو والغفلة** : قال تعالى : { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ }[2] .

٩- **الإسراف والارتياب** : قال تعالى : { كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ }[3] .

١٠- **اليأس والقنوط** : قال تعالى : { وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ }[4] .

١١- **قسوة القلب** : قال تعالى: { فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ }[5].

١٢- **الفسق** : وهو الخروج عن طاعة الله تعالى، والوقوع في معاصيه؛ قال تعالى: { وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ }[6] .

---

(١) إبراهيم : ٢٧ .

(٢) لقمان : ٦ .

(٣) غافر : ٣٤ .

(٤) الحجر : ٥٦ .

(٥) الزمر : ٢٢ .

(٦) البقرة : ٢٦ .

١٣- التحاكم إلى الطاغوت : قال تعـــالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا }[١] .

١٤- الجدل : عن أبي أمامة t قال : قال رسول الله e : **(ما ضَلَّ قومٌ بعد هُدىً كانوا عليه إلا أُوتُوا الجدل)** ثم قـــرأ : { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا }[٢] .

١٥- صديق السوء :فهو يقود صديقه إلى الضلال والعياذ بالله ؛ قال الله تعالى : { وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا }[٣] .

الضالُّون عن الله ؛ أضلُّ من الأنعام :

---

(١) النساء : ٦٠ .

(٢) رواه الإمام أحمد (٥ : ٢٥٢ ، ٢٥٦) ، والترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨) ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . والآية من سورة الزخرف : ٥٨ .

(٣) الفرقان :٢٧-٢٩ .

ثم إنَّ الضالَّ أضلُّ عند الله تعالى من الأنعام ، قال الله تعالى: { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ } [(١)] .

ضلالُ الضالّ على نفسه :

وكما أنَّ الهداية للإنسان ، فالضلال عليه ؛ قال الله تعـــالى : { فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا } [(٢)] .

ومن ضل الطريق في الدنيا ، فسيضلُ عن طريق الله U في الآخرة ؛ قال الله تعـــــالى : { وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ } [(٣)] .

# # # #

---

(١) الأعراف : ١٧٩ .

(٢) يونس : ١٠٨ .

(٣) المؤمنون : ١٠٣ – ١٠٧ .

ءآمين

معناها :

آمين : اسم فعل .

وفي معناها ثلاثة أقوال ذكرها الحافظ ابن الجوزي في تفسيره :

الأول : بمعنى اللهم استجب ، قاله الحسن والزجاج .

الثاني : بمعنى كذلك يكون ،حكاه ابن عباس والحسن .

والثالث : بمعنى أنه اسم من أسماء الله تعالى ، قاله مجاهد .

وقيل : ربِّ افعل ، عن ابن عباس .

وقال الترمذي : لا تخيِّب رجانا .

والقول الأول هو الأشهر والأصح في تفسير هذه الكلمة، وهو بمعنى : اللهم استجب .

لغاتها :

{ **آمين** } ، وهي بالمد والتخفيف في جميع الروايات وعن جميع القراء .

وهي أصحُّ اللغات لهذه الكلمة.

وحكى الواحدي عن حمزة والكسائي الإمالة .

وفيها ثلاث لغات أخرى شاذة :

١- بالقصر : { **أمين** } .

٢- التشديد مع المد : { **آمّين** } .

٣- التشديد مع القصر : { **أمّين** } [١].

وكما نعلم أن آمين الهمزة في أول هذه الكلمة فيها مد يسمى مد البدل، ومد البدل يمد بمقدار حركتين اثنتين فقط ، فلا يصح أن يقرأها المسلم آآآآآآمين، بل عليه أن يقصر المد في الألف ويطيل المد في الياء ؛ (آمييييين) لأن المد في الياء هو مد عارض للسكون ، يجوز فيه الحركتان والأربع والست حركات ، فلا يصح ما يقوله كثير من الناس أنهم يمدون الألف ويمدون الياء بنفس المد فيقرئونها (آآآآآآمييييين) وهذا خطأ ، والصواب أن يقصر المد بالألف ، ويطيل في الياء ، ويقرأها هكذا (آمييييين) .

حكمها :

وهي سنَّة ثابتة عن النبي e فقد روى مسلم عن أبي موسى الأشعري t قال : قال رسول e : (**إذا صليتم ، فأقيموا صفوفكم ، وليؤمَّكم أحدُكم ، فإذا كبر فكبروا وإذا قال : { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } فقولوا: آمين ، يجبكم الله**) [٢].

---

(١) فتح الباري (٢ : ٣٠٦) .

(٢) رواه مسلم : (٣٠٣) في كتاب الصلاة .

وروى البخاري معلّقاً عن عطاء قال : آمين دعاءٌ . أمَّن ابن الزبير ومـــن وراءه حتى أن للمسجد لَلَجَّة ، وكان أبو هريرة ينادي الإمـــامَ : لا تَفُـــتْني بآمين [1] .

قوله : (**للمسجد لَلَجَّة**) أي : صوت عظـــيم بالتـــأمين ، يُـــسمع في مساجد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وأرضاهم ، من فـــرحهم بهـــذه الكلمة ، ولأنها تخرج من قلوبهم وهم يطلبون من الله أن يستجيب لهـــم ، وأن يتقبل دعائهم ورجائهم .

ويسنُّ قراءتها في الصلاة وغيرها ، للإمام والمأموم والمنفرد ، ويُجهر بها في الصلاة الجهرية ، وهو قول جمهور أهل العلم .

وقال السادة الحنفية بإخفائها وعدم الجهر بها ، وهو قول عليٍّ t .

ولذلك لا تستغرب إذا سافرت إلى بلدٍ من البلدان الـــتي يـــشيع فيهـــا المذهب الحنفي ، فإذا قرأوا بهذه السورة العظيمة تجدهم لا يتلفظون بآمين ، فهم في الحقيقة يقولونها ، ولكن لا يجهرون بها ، وإنما يقولونهـــا خفيـــة ، وهكذا هو مذهب الإمام أبي حنيفة ، وقول علي t وأرضاه ، وأما قـــول الجمهور فهو الجهر والإعلان بهذه الكلمة .

هل (آمين) من القرآن ؟

---

(١) صحيح البخاري "كتاب الأذان" باب: جهر الإمام بالتأمين. "فتح الباري" (٢/ ٣٠٦).

وكلمة (آمين) ليست من القرآن إجماعاً ؛ لأنها لم تكتب في مصحف عثمان t ، المصحف الإمام ، المعتمد المعتد به ، ولا في غيره ، فهي ليست من كلام الله تعالى ، ولكنها سنة ثابتة عن النبي e .

فضل التأمين :

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة t أنَّ النبي e قال : (**إذا قال الإمام : { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } فقولوا : آمين ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه**) [(١)] .

أي : من صغائر الذنوب ؛ أما الكبائر فلا بد فيها من توبة صادقة ، وإقلاع عن الذنب .

وفي رواية البخاري : (**إذا قال أحدكم : آمين . وقالت : الملائكة في السماء آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**) [(٢)] .

وفي رواية النسائي : (**غفر لمن في المسجد**) [(٣)] .

قال الحافظ ابن كثير: قيل : من معنى (**فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة**) في الزمان ، وقيل : في الإجابة ، وقيل : في صفة الإخلاص [(٤)] .

وقد رجَّح الحافظ ابن حجر وغيره أنَّ المراد بالموافقة هو الموافقة في القول والزمان .

---

(١) رواه البخاري (٧٨٠) ، ومسلم (٤١٠) .
(٢) رواه البخاري (٧٨١) .
(٣) رواه النسائي (٢ / ١٤٤) .
(٤) ابن كثير (١ / ١٦٧) .

ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن المُنيرِّ قوله : الحكمة في إيثار الموافقة في القول والزمان أن يكون المأموم على يقظة للإتيان بالوظيفة في محلِّها ؛ لأنَّ الملائكة لا غفلة عندهم ، فمن وافقهم كان متيقظاً .

وقيل : المراد بالملائكة جميعهم ، وقيل : الحفظة ، وقيل : الذين يتعاقبون، قاله الحافظ ابن حجر في الفتح ، ثم قال : والذي يظهر أنَّ المراد بهم من يشهد تلك الصلاة من الملائكة ممن في الأرض أو في السماء[1] .

وروى عبد الرزاق عن عكرمة قال : "صفوف أهل الأرض على صفوف أهل السماء ، فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غُفِرَ للعبد " . قال ابن حجر: ومثله لا يُقالُ بالرأي فالمصيرُ إليه أولى . ا.هـ[2] .

حسد اليهود للمؤمنين على التأمين :

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : (**ما حسدَتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين**)[3] .

وعنها رضي الله عنها أيضاً : أنَّ النبي ﷺ جاءه ثلاثة من اليهود . فقال: (**تدرين على ما حسدونا ؟**) قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (**فإنهم**

(١) " فتح الباري " (٢ / ٣٠٩) .
(٢) " فتح الباري " (٢ : ٣٠٩) .
(٣) رواه ابن ماجه (٨٥٦) .

حسدونا على القِبلة التي هدينا لها وضلوا عنها ، وعلى الجمعة التي هدينا لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام : آمين) [١] .

خص الله بها نبينا محمداً ﷺ بعد موسى وهارون عليهما السلام :

قال الله تعالى : { وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [٢] .

وقيل : أن موسى كان يدعو وهارون يؤمِّن ، فالتأمين على الدعاء هو كالدعاء أيضا ، فلذلك استجاب الله لهما تبارك وتعالى وقال : { قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا } الذي يدعو والذي يُؤَمِّن .

وقد رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال : **(أعطيت آمين في الصلاة ، وعند الدعاء ، ولم يعط أحدٌ قبلي إلا أن يكون موسى ، كان موسى يدعو وهارون يؤمِّن ، فاختموا الدعاء بآمين ؛ فإن الله يستجيب لكم)** [٣] .

---

(١) " السنن الكبرى " للبيهقي (٢٢٧١) .

(٢) يونس : ٨٨-٨٩ .

(٣) عزاه ابن كثير في تفسيره إلى ابن مردويه " ابن كثير (١ : ١٦٨) " ، ورواه ابن خزيمة (٣/٣٩) وهو هنا بمعناه، وانظر: " الترغيب والترهيب " للمنذري (٧٢٠) ط . دار ابن حزم .

ولذلك يستحسن ويستحب للمسلمين أن يختموا أدعيتهم بالتأمين ، لأنه علامةٌ على إجابة دعائهم ، وعلى قبوله ؛ بإذن الله تعالى .

# # # #

هذا مايسر الله تعالى من الكلام على تلك السورة العظيمة المباركة (سورة الفاتحة)

أسأل الله أن يجعله عملاً مقبولاً وأن ينفع به كلَّ من قرأَه واطلع عليه .

آمين

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

د. عبد اللّٰه بن علي بصفر

الفهرس